

# **صيحة تحذير من دعاة التنصير**

**محمد الغزالى**

[www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)

## مقدمة

دائما كنت أتعجب من موقف رجال الكنيسة من الإسلام! إنهم لو فكروا قليلا بحياد موضوعية لتبين موقفهم من المسلمين، ولبذلوا الجهد الصادق المخلصة في التعرف على هذا المنهج الجديد الذي جاء بعد عيسى عليه السلام! - لم يأت مكذبا لنبيهم ولا سابا له ولا متورطا في محاولة قتله ولا مدعيا على أمه، بل جاء ليقول في عيسى وأمه: ` ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام` فعيسى رسول الله عليه الصلاة والسلام حلقة في السلسلة النبوية الكريمة شأنه شأن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى.. عليهم جميعا الصلاة والسلام!! وقصة عيسى مبثوثة في أكثر من موضع في القرآن الكريم.. ولم يرد في موضع واحد منها ما يسئ عيسى أو يشينه، كما أنه لم يرد في أمه شئ من ذلك، بل إنها - عليها السلام - قد اختصت بسورة كريمة من سور القرآن هي سورة "مريم"... !! وتأمل في هذا الوحي الرفيع وهو يسطر أزكي الآيات في حق عيسى وأمه عليهم السلام: "إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وظهرك واصطفاك على نساء العالمين" "إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين".

ولا يوجد فرق كبير بيننا وبين النصارى فى شخص مريم عليها السلام، فنحن نؤمن بأنها صديقة، وبأنها بشر، وبأنها عذراء طاهرة صالحة تقية، تعهدها الله برعاية خاصة وفضلها تفضيلا عظيما على نساء العالمين. والفرق بيننا وبين رجال الكنيسة يتمثل أول ما يتمثل فى شخص المسيح عليه السلام، فنحن نؤمن بأنه رسول قد خلت من قبله الرسل، ولا نرى أنه إله، ولا ابن إله، ولا أنه يجلس إلى جوار أبيه فى السماء، "وليس هنا مجال استقصاء خلافاتنا مع الكنيسة". ونحن نؤمن بأن النصرانية الصحيحة التى تنزلت على عيسى تنزلت بما نؤمن به وأن فرقا نصرانية كثيرة كانت على رأينا هذا لكنها ووجهت بحرب إبادة. بل نحن نؤمن بأن الأغلبية الساحقة من أعضاء مجمع نيقية كانت على عقيدة التوحيد وعلى رأس هؤلاء العالم المصرى أريوس "إمام الأريسيين" .. فمن بين المجتمعين فى المؤتمر الذى بلغ عددهم 2048 عضوا.. وقع على قرار التشليث 318 عضوا - فقط - هم الذين رضخوا لرأى الحاكم "الوثنى سابقًا" قسطنطين ولصديقه كاهن روما، وخالفوا تهدياته وإجراءاته التى كان من بينها قتل أريوس وتشريد بقية الموحدين. وكان هذا العام 325 م كما يقول أستاذنا الدكتور أحمد شلبى أول تاريخ يتخذ فيه قرار ضد التوحيد ويحكم بألوهية المسيح . ونحن نؤمن كذلك بأن الدراسة العلمية الموضوعية تنتهى إلى ما نؤمن به، بل هى النتيجة التى انتهت إليها كثير من المؤرخين النصارى المنصفين.. فالواحد واحد.. والثلاثة ثلاثة، ولا يمكن أن يكون الثلاثة واحدا إلا إذا كانوا أجزاء فى واحد،.. وسيكون فى كل جزء نقص يمنعه من أن يكون وحده واحدا... ! وأى جدل حول هذه المسلمنة البديهية هو نوع من السفسطة التبريرية التى تستحق أن تقرع لقول الله تعالى: "لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم". بقول أستاذنا الكبير الشيخ محمد الغزالى: `إن قضية الثالوث والغداء لا تعرفها أديان السماء، وما سمع بها عيسى عليه

السلام، والنصارى الأولون كانوا على عقيدة التوحيد، وظاهر أن نفرا من شياطين الجن والإنس حاولوا فتنتهم عن هذا المعتقد الصالح، وأرادوا أن يخلطوا بين الوحي النازل على عيسى، وبين تعاليم أديان أرضية قديمة، عرفت في وثنيات الهنود والمصريين وغيرهم، ونشب عراك شديد بين المحافظين والمحرفيين ظل قرابة أربعة قرون، انتصرت فيه للأسف العقائد المغشوشة، والمبادئ المعلولة، واستخفى من قلوب الناس التوحيد الحالص.. وقد أعاد السلطان الروماني على بلوغ هذه النتيجة الرديئة، فإذا الواحد ثلاثة، وإذا المعابد مذابح وقربابين، وإذا رجال الدين وسطاء يغفرون الذنب وإذا المسئولية الشخصية تبتعد، وإذا أحكام إلهية كثيرة تتوارى، وإذا تحريف واسع النطاق يدخل في تراث عيسى عليه السلام . وما يقوله الداعية المسلم الكبير الشيخ محمد الغزالى هو ما انتهى إليه ودافع عنه المسيحي المنصف الأستاذ "الدكتور شارل جنبيير" أستاذ المسيحية ورئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس، والذي نشأ مسيحيًا من أبو مسيحي وأم مسيحية وفي بيته مسيحية صميمة هي البيئة الريفية الفرنسية الكاثوليكية المتعصبة، والذي حصل على الدكتوراه في تاريخ الأديان ولكنه تعمق في المسيحية بصفة خاصة حتى أصبحت المسيحية تخصصه الدقيق "بالتعبير الأكاديمي". ولقد أخذ الدكتور شارل جنبيير يرتقي في المناصب الجامعية - كأستاذ لتاريخ الأديان والمسيحية بخاصة - حتى وصل إلى أستاذ تاريخ المسيحية في أكبر جامعة في فرنسا وهي جامعة باريس ثم وصل إلى رئيس قسم تاريخ الأديان في الجامعة!! ما يقوله الشيخ محمد الغزالى - الداعية المسلم - يلتقي تماما مع ما يردده ويتحدى به ويؤلفه في كتبه ويلقيه في محاضرات جامعية وعامة ويكتب في بحوث ومؤتمرات العالم المسيحي المتخصص الدكتور شارل جنبيير... يقول الدكتور شارل جنبيير في كتابه "المسيحية نسأتها وتطورها": ` والنتيجة أكيدة لدراسات الباحثين، هي: أن عيسى لم يدع أنه هو المسيح المنتظر. ولم يقل عن نفسه إنه "ابن الله" وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل . بالنسبة إلى اليهود . سوى خطأ لغوی فاحش وضرب من ضروب السفة في الدين. كذلك لا يسمح لنا أى نص من نصوص الأنجليل بإطلاق تعبير "ابن الله" على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، إنها اللغة التي استخدمها القديس بولس كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع، وقد وجدا فيها معانى عميقه وعلى قدر كاف من الوضوح بالنسبة إليهما .

ولو أراد - أى عيسى - أن يتخذ لقبا، لاتخذ لقب "ابن داود" المعروف بين بنى إسرائيل، والذى كانوا يعتبرونه لقب المنقذ المنتظر ولكنه لم يفعل . لكن كيف وقع هذا الانحراف الكبير بل لعله أكبر الأخطاء فى تاريخ العقائد والأفكار؟ إنه لم يقع فى مجمع نيقية سنة 325 م الذى تقرر فيه اعتماد العقيدة الكنسية بالأناجيل المنتقدة على النحو المعروف اليوم؛ بل إنه "فرض" بالقرار السياسى والعسكرى فى هذا المجمع، أما وقوعه فكان قبل ذلك بأكثر من قرنين ونصف القرن على يد المنشئ资料 الحقيقى لهذه العقيدة، والذى يتحمل وزرها التاريخى والدينى وهو اليهودي شاول "بولس". إن بولس هو منشئ هذا الدين، وهو الذى يقف وراء الأنجليل بعامة ووراء الإنجيل الوحيد الذى نص بصراحة واضحة على الوهبية عيسى، وهو إنجيل يوحنا حيث نقل يوحنا فى إنجيله عن عيسى مقولات "أنا والأب واحد"، "الذى رأىنى فقد رأى الأب"، "أنا فى الأب والأب فى" ويوحنا هو الوحيد أيضا الذى ذكر أن عيسى أخبر أنه سيرسل "الفارقليط" - المعزى - أو الروح القدس حسب اعتقاد النصارى ؛ ليسددة الكنيسة ويرشدتها من بعده! وليس يوحنا هذا من حواريى المسيح ؛ بل هو كما يذكر كاتب الموسوعة البريطانية "يوحنا آخر" كان يعيش فى أفسيس، ومن داخل الإنجيل يفهم أنه كتبه حوارى محظوظ مجهول الاسم، وبما أن الشواهد الداخلية، والخارجية مشكوك فيها فإن الفرضية المطروحة لهذا العمل هى أن إنجيل يوحنا ورسائله حررت فى مكان ما فى الشرق، ربما فى أفسيس، كإنتاج لمدرسة أو دائرة متأثرة بيووحنا فى نهاية القرن الأول الميلادى . ويقول موريس بوكاى حول مؤلف إنجيل يوحنا: كل شيء يدفع إلى الاعتقاد بأن النص المنشور حاليا ينتمى إلى أكثر من كاتب واحد... وبولس يقف من ورائهم جميعا !! وقد ورد فى الجزء الخامس من دائرة المعارف الفرنسية أن كتب العهد الجديد المعتمدة من عمل بولس أو من عمل أتباعه، وليس الأسماء الموضوعة عليها إلا أسماء مستعارة.

ويقول صاحبنا أستاذ المسيحية وتاريخ الأديان الدكتور شارل جنبيير: ` يجب علينا ألا ننسى أنه - أى المسيح - لم يؤسس شيئاً: لم يأت بدين جديد، ولا حتى بأى من طقوس العبادة جديد. لم يأت إلا بتصور شخصي فريد للتقوى فى إطار الديانة اليهودية، تلك الديانة التى لم يزعم قط أنه يبغى التغيير فى معتقداتها أو من شرعها وشعائرها. واعتمدت تعاليمه على فكرة حلول مملكة الله التى آمن بها هو كما آمن بها سائر مواطنيه، إلا أنه فهمها وعبر عنها بطريقته الخاصة . - فمن الذى أتى بهذا الدين الجديد الذى يمثل المسيحية المعاصرة...؟ إن المؤرخ الكبير "هـ. جـ. ويلز" يجيبنا على هذا السؤال فيقول: ` كان القديس بولس من أعظم من أنشئوا المسيحية الحديثة، وهو لم ير عيسى قط، ولا سمعه يبشر الناس، وكان اسم بولس فى الأصل شاول، وكان فى باى الأمر من أبرز وأنشط المضطهدين لفئة الحواريين القليلة العدد، ثم اعتنق المسيحية فجأة، وغير اسمه فجعله بولس، وقد أتوى ذلك الرجل قوة عقلية عظيمة، كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية، فتراه على علم عظيم باليهودية والميتراصية وديانة ذلك الزمان التى تعنتقها الإسكندرية، فنقل إلى المسيحية كثيراً من فكراتهم ومصطلح تعبيرهم، ولم يهتم بتتوسيع فكرة عيسى الأصلية وتنميتها، وهى فكرة "ملكوت السموات" ولكنه علم الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب، ولا زعيم اليهود الموعود فقط بل إنه ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر . لقد كان بولس عليماً بالفلسفة الإغريقية التي تمثلها مدرسة الإسكندرية، وقد نجح بولس في أن يضع البذور التي نقل بها المسيحية من الوحدانية إلى التثليث، ووافقت فكرة التثليث الجماهير ذات الخلفية الوثنية، واستطاع بعض أتباع بولس أن يصيروا من آباء الكنيسة وذوى الرأى فيها فتم الامتزاج بين آراء مدرسة الإسكندرية المؤمنة بالفلسفة الإغريقية وبين المسيحية الجديدة. لقد كان هذا أعظم خطأً وقع في تاريخ العقائد والرسالات السماوية، ولئن كانت الأديان السابقة تتعرض للتحريف ثم يرسل الله الرسل فيزيحون الأتربة عنها

ويعدون إليها نقاءها ووحدانيتها، فإن المشكلة مع النصرانية الكنسية صعبة ومعقدة، وذلك لأمرتين خطيرتين: أولهما: أن بولس وهو رجل في غاية الدهاء والمكر، قد نجح في القضاء على نصرانية المسيح البسيطة الطيبة، القائمة على الفطرة والزهد والأخلاق الكريمة، وأنشأ لدينه الجديد مؤسسة تعتبر من أقوى المؤسسات الفكرية والعقائدية في التاريخ البشري، وهي الكنيسة التي تحصر كل رسالاتها في حماية آراء بولس وأفكاره المبثوثة في رسائله وفي إنجيل يوحنا خاصة، ولم تحاول الكنيسة التي أنشأها بولس أن تبذل بعض جهدها وطاقتها البحثية في كشف الطبيعة الصحيحة لدين المسيح عليه السلام، ولا تعاليمه قبل أن يهيمن بولس على النصرانية المسكينة، بل إن الموحدين النصارى في القرون الثلاثة الأولى قبل مجمع نيقية يخضعون لتعنيف شديد، ولا يكادون يفوزون بنصيب من الدراسة المنصفة... فالكنيسة الممتدة في بقاع المعمورة أصبحت تمثل حجاباً كثيفاً حاجزاً بين البشرية ونصرانية المسيح، وهي بتركيبتها المعقدة تجعل من مهمة الوصول إلى النصرانية الصحيحة أمراً صعباً للغاية... وقد ضمن بولس هذا النجاح عندما وضع للكنيسة هذا النظام البالغ التعقيد الذي يربط وجودها بهذه الطقوس، ويربط حياة القائمين عليها - أيضاً - بهذه الطقوس، وتبدو الكنيسة مؤسسة مصادرة للعقل، حامية لهذه التركيبة من الأفكار والطقوس التي لا تخضع لأى منهج عقلى أو نقدى أو أية موازين دينية محايده... يقول شارل جنبير: "إن المسيح لم ينشئ الكنيسة ولم يردها. ولعل هذه القضية أكثر الأمور المحققة ثبوتاً لدى أى باحث يدرس النصوص الإنجيلية في غير ما تحيز، بل إننا نؤكد أيضاً أن الغرض العلمي لا يمكن أن يوجد له سند تاريخي مقبول، ولم يستطع رجال اللاهوت، بكل ما أوتوا من براعة، حيال ذلك شيئاً. ومهما بلغ من فقر معلوماتنا عن تعاليم المسيح، فإنها لتبدو لنا في مجملها، كرد فعل ضد التعصب الضيق الأفق للشريعة الموسوية لدى اليهود، ضد شعائرهم التي تزيد في صرامتها عن الحد المعقول". ويقول جنبير في موضع آخر أيضاً: ` أما أن تنسب إليه - أى إلى المسيح - إرادة تأسيس كنيسة... كنيسة تكون كنيسته هو... كنيسة تختص بالعبادات

والطقوس التى يعينها لها والتى يظهر فيها رضاه عنها... كنيسة يمهد لها فتح الأرض جمیعا... فهذا قول لا يقره واقع الأحداث، ولا صريح التسلسل التاريخي. ولن نتعدى الحق إن أضفنا: أن كل ذلك لا يمكن اعتباره إلا تحریفا لفكرته، وأنه لم يكن ليرض عنه قط لو نمى إلى علمه منه شيء . بل إن "جنبيير" - أستاذ المسيحية بجامعة باريس سابقا - ليقول كلاما لا يستطيع أن يصرح به إلا أمثاله من الباحثين المتجردين تماما من العواطف... إنه يقول: إن النصوص الإنجيلية لم تنسب قط إلى المسيح تعبيرا مثل: "كنيستى"، أو "كنيسة الأب"، إلا في مناسبة واحدة نقرأ فيها: إنك أنت - بطرس - "بطرس - صخرة" وعلى هذه الصخرة سوف أبني كنيستى "إنجيل متى 16 / 18 - 19" لكن هذا الحديث المشهور، والذي استغل أقصى الاستغلال، لا يمكن بحال من الأحوال الاعتماد على صحته، إلا إذا أعلنا أن المسيح في ساعة من ساعات الغفلة والتيه، قد تنكر لتعاليمه، ولعمله، ولرسالته، بل ولذاته أيضا.

هذه الكنيسة "البولسية" - غير "المسيحية" قد أصبحت مؤسسة لاهوتية اقتصادية سياسية ذات شبكة دولية من العلاقات والمصالح. وذات نفوذ سياسى واقتصادى وإعلامى رهيب. وقد أصبح صعبا غاية الصعوبة أن تحاول نقد نفسها وتغيير بيئتها وتجاوز "بولس" والعودة إلى "المسيح" وتجنيد كل طاقتها لتجاوز مقررات مجمع نيقية، وتأثيرات بولس وأتباعه على الأنجليل الأربعه التي اعتمدت بقرارات سياسية موائمة لظروف التحول التى كانت تمر بها الإمبراطورية الرومانية وحاكمها قسطنطين!! - ومع ذلك فإن الفكر البشري العلمى والتطور الحضارى قد وجدا أنفسهما وجها لوجه فى مواجهة هذه المؤسسة التى لا تقوم على وحى صحيح أو عقل صحيح..... ثانيهما: أما الخطر الكبير الثانى فقد تمثل فى ذلك الرفض العقلى والحضارى الأولى لكنيسة بولس المعقدة اللا معقوله... والمأساة الكبرى أن هذا الرأى لم يتوجه لنقد "المرحلة البولسية" بل اتجه إلى رفض الدين كله... دين عيسى "عليه السلام"

ودين بولس... بل وكل الأديان السابقة.. وحتى الدين الجديد الذي جاء مصححا وهو الإسلام، فقد تم رفضه لأن الكنيسة كانت - عن وعي بخطورته - تشوّهه ولا تسمح بوصوله صحيحاً إلى العقل الأوروبي، واتجه العقل الأوروبي - في ظل هذا - إلى المادية والإلحاد والعلمانية التي تحصر الدين في داخل هذه المؤسسة اللاهوتية "الكنيسة" ولا تسمح بوجوده في جوانب الحياة المعاشرة اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو ثقافية.... والغريب أن الكنيسة التي كانت تشارك الملوك في السياسة وتتفاوت هي بصياغة الحياة والعقول في العصور الوسطى.. هذه الكنيسة الغربية قد رضيت بهذا الوضع، واستسلمت لهذه النتيجة، وقبلت أن تتعاون مع قيادات الحياة الجديدة، فأصبحت طليعة الاستعمار والشريك المتضامن مع العلمانيين وحكام الفساد والانحلال الذين لا تربطهم بالله صلة ولا يهمهم من الدين ورجاله إلا أن يساعدوهم على تحقيق أهدافهم الإنسانية والأخلاقية ضد الشعوب المستضعفة ضد المسلمين وخاصة!! ومرة أخرى تنجح الكنيسة في ركوب الموجة وتغيير الحقيقة وبيع المبادئ والتضحية بالنصرانية الصحيحة وبالدين الحق، وذلك في سبيل الحفاظ على هويتها وعلى مكاسبها الدينية البحتة ! وكما امتزجت مع قسطنطين والملوك والإقطاعيين منذ القرن الرابع وحتى القرن السادس عشر، كذلك نجحت في أن تتعاون مع خصومها قادة الحضارة الأوروبية الحديثة، فاستثمروها واستثمرتهم، وأصبح الطريق صعبا - مرة أخرى - لتجاوز مرحلة بولس وقرارات مجمع نيقية والاتصال المباشر بال المسيح وإنجيله المفقود. وزاد من صعوبة الأمر تفوق الحضارة الأوروبية التكنولوجى والمادى فعمدت الكنيسة إلى استغلال جهل الناس بمذاجها ضد العلم ورجاله في العصور الوسطى، وصورة لهم أن لها صلة بهذا التقدم، وهذا التقدم "المادى" و "العقلى" منها براء!! إن إنقاذ البشرية وهدايتها إلى الدين الحق طويل وشاق. لكن هذه الومضات "العلمية" التي تتألق في عدد من الدارسين الشرقيين والأوربيين المحايدين المنصفين تبشر بالخير.

ونحن المسلمين لا نفهم سر هذا التحجر من رجال الكنيسة، لأننا لا نريد أن نقتنع بأن المصالح الدينية البحتة تستطيع أن توجه هذا العدد الغفير الذي يقدر بالملايين من المنصرين ورجال اللاهوت إلى هذه الوجهة المخالفة للحق والمدمرة لمستقبل البشرية. ومازال الأمل يراودنا - كما راود أستاذنا الإمام الشيخ/ محمد الغزالى في هذا البحث الطيب -

في أن يثوب المخلصون من رجال النصرانية إلى دراسة الإسلام دراسة موضوعية، وفي أن يدرسوا مسيحية بولس دراسة موضوعية... وكما أمكن للعقل البشري أن ينفذ من خلال حجب الظلام الكثيفة إلى تبديد كثير من الأوهام الباطلة التي كانت حقائق يقينية في عهد سocrates وأرسطو وأفلاطون وأفلاطونين - فإننا كذلك نأمل في كشف أباطيل بولس ورفض منظومته اللاهوتية والكنسية، والعودة إلى نصرانية المسيح عليه السلام... - نصرانية موحدة لا تأليه فيها لرسول الله عيسى، ولا لروح القدس جبريل. - نصرانية بلا صلب ولا فداء. - نصرانية تقدر الله حق قدره ولا تسمح بكلمة تخدش عظمة الله وقدرته. - نصرانية تقدر الرسل حق قدرهم وتنزههم عن اللصوصية والزنا والقتل وغيرها من العيوب والنقائص. - نصرانية منقولة معقولة لا تتجاوز النص ولا تجهض العقل. - نصرانية سمحنة لا تضع يدها في يد مستعمري العالم ومروجي الرذيلة ومبتدئ البشرية وفسد أخلاقها... - نصرانية يتصل فيها العبد بالله اتصالاً مباشرًا بلا سكوك غفران ولا اعتراض... - نصرانية لا ترى في محمد عليه الصلاة والسلام ولا في القرآن الذي نزل عليه "العدو الأول" لأن القرآن الذي أنزله الله على محمد وأن الأحاديث المنسوبة إلى محمد ليس فيها إلا كل حب وتقدير للمسيح عيسى عليه السلام.. وما جاءت تعاليم القرآن والسنة إلا بكل حق وغير يوجههما الوحي الصحيح والعقل الصحيح.. إننا ندعو العقلاً والمخلصين إلى أن نتجه جميعاً للبحث عن الحقيقة في عصر العقل.. بالعقل.. وبالثوابت الدينية التي تتفق عليها كل الرسائل السماوية. إن أستاذنا الشيخ الغزالى في هذا الحوار العقلى الكريم يدعوا هذه الجيوش المشتغلة بالتنصير أن تعمل في ميدانها الحقيقي لو كانت تؤمن بالله وبالدين الحق... إنه ميدان الحضارة الأوروبية العلمانية المادية بالدرجة الأولى... والمسلمون آخر من يحتاجون إلى خدمات التنصير لأنهم أول المؤمنين بالله وبرسالات الله وبعيسى عليه السلام... فعلام هذه الحرب الضروس؟ ولماذا التواطؤ ضد المسلمين مع اليهود والمجوس؟ وأنا أضيف إلى نداء أستاذنا الشيخ الغزالى إلى عقلاً حرّكات التنصير نداء إلى البشرية كلها أن تقف ضد مؤسسات الباطل التي تلغى العقل وتعمل لخدمة أهداف تستذل بها شعوب العالم وتقاوم بها أشعة الشمس وأضواء الحق... صليبية كانت هذه المؤسسات أو يهودية!! ولن نيأس من رحمة الله ، لأن ثقتنا كاملة في وعده: "هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره

على الدين كله وكفى بالله شهيداً "صدق الله العظيم". القاهرة- صفر الخير 1412 هـ. د/ عبد الحليم عويس

مدخل بين يدي كتاب من 900 صفحة مطبوعة بحروف صغيرة، فلو أن الكتاب طبع بالحروف المعتادة لبلغ ثلاثة مجلدات كبيرة، إنه سجل للمدارسات والمحاورات والمقترحات والآراء والنتائج التي انتهى إليها آخر المؤتمرات التبشيرية في الولايات المتحدة... وقد تخصص هذا المؤتمر في بحث قضية واحدة هي أمثل الطرق لتنصير المسلمين والقضاء على دينهم، وقد جمع لهذه الغاية ألف مليون دولار لعلها الخطوة الأولى في مشوار طويل.. الحق أني شعرت بالكآبة والأسف، وتساءلت: ماذا يطلب هؤلاء الكهنة المجتمعون على أحسن غرض؟ إننا نحن المسلمين نقدر الله حق قدره! ونقضي الليالي والأيام في تسبيحه وتحميده، وقد قسمنا الزمان قسمة رتيبة، فيبين الحين والحين تحمل الرياح الأربع صيحات المؤذنين: الله أكبر الله أكبر؛ ثم نهرع إلى المساجد ملبين النداء محبين ربنا بالركوع والسجود، والقيام والقعود.. وضحك وأنا أتساءل مستغرباً: أحنن كافرون بالله..؟ إننا بلا ريب مقصرون في حق الله مفروطون في جنبه، لأننا لم نبلغ المدى المطلوب منا، ولم نحسن أعمالنا على النحو الذي سار عليه أسلافنا، وتأخرنا تأخراً أطمع فينا الثعالب والذئاب، فضربتنا اليدين الحالبة واليد العاطلة على سواء، ونال منا عباد الأوثان، ومن لا يعبد شيئاً قط.. ورجعت إلى صفحات الكتاب الحافل بالمكر والإفك، انه يعرف عقائدهنا معرفة حسنة، وهو يريد أن نضم إلى عبادة الله، عبادة إلهين آخرين، هما الابن والروح القدس! ويصفنا بأننا أعداء المسيح عيسى ابن مريم! أصحيح أننا أعداء عيسى؟ إننا وقرناه وكرمناه، ويرأنا أمه وفضلناها على العالمين، فماذا نلام عليه؟ أو ماذا يؤخذ علينا؟ إنكم - يا رجال الكنائس المجتمعين في مؤتمركم هذا - صادقتم بيهود، وبسطتم أيديكم إليهم بالولد والنصرة، ولم يخف ضغنم ذرة على الإسلام ونبيه! وتذكرت كلمة "برنارد شو": لقد طبع رجال الكنيسة في القرون الوسطى دين الإسلام بطبع

أسود حالك، إما جهلاً وإما تعصباً، إنهم في الحقيقة كانوا مسوقين بإحساس واحد، هو بغض محمد ودينه، وهم يقولون : إن محمداً عدو للمسيح، ولقد درست سيرة محمد، الرجل العجيب، وفي رأيي أنه بعيد جداً عن أن يكون عدواً للمسيح، وإنما ينبغي أن يدعى منفذ البشرية" ! هذه الكلمة حق هدى إليها رجل من رجال الدنيا، وضل عنها المتعصبون من رجال

الدين!! ولقد فكرت في الحضارة الحديثة التي تسود العالم بكشوفها العلمية الرائعة، إن الذي صنع هذه الحضارة وحملها هم رجال من طراز "برنار دشو" أما رجال الكنائس المؤتمرون في الولايات المتحدة، فهم أخوة وأبناء للدين ذبحوا العلماء، وقيدوا المدنية، وكرهوا الفكر والحرية، ولم تستطع أوروبا حسم شرورهم إلا بعد أن حكمت حكما لا رجعة فيه، بإقصائهم عن الدولة والاقتصاد والسياسة، والعلم والمجتمع وكل نشاط له وزن.. إنهم الآن يعودون في ظل مدنية قتلوا رجالها الأولياء - حاملين لواء الكراهية للإسلام وحده! عاملين مع قوى البشر، وخدمين للاستعمار القائم على العنصرية والفساد..!! إن هذه القطعان من الكهنة، تستأنف غرائز التعصب القديم، حين تستأنف الحرب، وتشق غارة جديدة على الإسلام.. ماذا تريدون من يعبد الله الواحد؟ تقولون: اعبد معه يسوع ابنه الوحيد ثم ضم إلى يسوع الإله الثالث روح القدس.. إننا نعرف هذه القصة وننكرها! إن الله الواحد هو الخالق الرازق المحيي المميت، المدبر لكل شيء "ما أعانه أحد وهو يبدع السماوات والأرض" لأنه لا يحتاج إلى معين، إن ماعداه فقير إليه عان بين يديه!! "قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون". سألت نفسي: ما وضع هذه الآلهة الأخرى مع الله؟ أهي كبطانة المغني تردد ما يقول وحسب، إن البطانة مرتبة أخرى دون الأصل، وقد تطرد وبجاء بغيرها إن هي أساءت الترجيع أو شدت عن النغم ! ما علاقتي أنا بأفراد هذا الثالوث؟ هل الأب خلق المخ، وخلق الابن الصدر،

وخلق الروح القدس البطن والأطراف؟ أجبت: إن الحياة السارية في الكيان كله واحدة، لا تصدر إلا عن واحد يشرف عليها من ذؤابة الرأس إلى أخمص القدم، ويوزع عمل الأجهزة الرئيسية على أجزاء الجسم علوا وسفلا.. وأنا لهذا الإله الواحد أنسجد وأشك وأحيانا في دنياي أستعد للقاءه كى يجزيني على حسن معرفتي! أنا ليست بيمنى وبين أحد الآلهة المزعومة خصومة شخصية، لو كان هناك إله آخر لعبدته "قل إن كان للرحمٰن ولد فأنا أول العبادين" لكن ليس هناك خالق إلا الله هو خالق الكل، وما عداه مخلوق له!! "ما اتخاذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعله بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون" لكن هؤلاء الكهنة جملة غاشيون

يبغضون محمدا لأنهم عميان لا يرون الحق، ويبغضون أتباعه لأنهم متعاونون ضدhem مع شياطين الإنس والجن! وأعلم أن الناس من الأزل مختلفون، وكذلك خلقوا، ليكن "لي عملي لكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون". فما علة اجتماعكم عشرات ومئات كى ترسموا الخطط لقتلنى، وتنتهزوا كبوا عرضت لى كيما تجهزوا على!! هذا مؤتمر مستنكر الوسائل والأهداف، ومن حق المسلمين فى المشارق والمغارب أن يتنددوا بأخذ الحذر والتأهب للدفاع!! وذاك بعض ما قمت به فى هذا الكتاب، لأميط اللثام عن لصوص العقائد لاسيما إذا ساروا مع استعمار يسرق الأموال والأعراض، وألفوا جميعا جبهة للشر والعذوان...!! إن أوربا وأمريكا مع تقدمهما العلمى ما أحسنتا الصلة بالله، ولا اكترثتا باليوم الآخر، ولا احترمتا جنة ولا نارا، إنهم عباد "فانون" فى متاع الدنيا وحدها، فهلا التفت الكهنة المؤتمرون إلى ما يسود مجتمعاتهم من مادية طاغية فقاوموها، هلا أصلحوا أنفسهم قبل أن يتوجهوا إلينا بالإصلاح أعنى بالإفساد !! ما أحسب غرائز السوء انطلقت فى عصر انطلاقها فى هذه الأيام النحسات الكارهة للوحى، الناقمة على مواريث السماء... إن كهان أوربا وأمريكا يتعمدون عن هذا الواقع الحافل بالنذر، ويكرسون أوقاتهم لشيء واحد، هو حرب

محمد

وأنته، حرب التوحيد الخالص، ونصرة عقيدة التثليث...!! ونحو هذه الغاية يتسامحون مع الهنادك واليهود وكل ذى نحلة شاردة، المهم هو القضاء على الإسلام وحده..!! والمؤتمر الأخير قوة جديدة لتشديد الغارة على الإسلام، ورسم لوسائل أرجع.. وقد وقع الاشتباك فى ساحات كثيرة، والأنبياء التى تجيئنى من القلب والأطراف، من وسط العالم الإسلامي وشرقه وغربه، يجعلنى أعق مراراة الهزيمة، وأدرك ضراوة الهجوم.. من ألم فى هذه الأحداث المؤذنة بالويل والثبور؟ لا ألم إلا قومى، فإن تخاذلهم وتقصيرهم من وراء هزائم شنيعة لحقت بنا فى كل مكان.. التربية هي الثلث الأوسط من عناصر الرسالة الإسلامية، تسبقها تلاوة المنهاج الذى يحدد إطارها، ويوضح غايتها، ثم يعقبها التعلم للحكمة الموعدة فى تضاعيف الكتاب العزيز. ونختار من الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: "لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين". أوضحتنا فى مكان آخر أن التزكية هي التربية، والحق أنه لا قيام لأمة إلا إذا تربت وتهذبت، وحكمتها قيم معينة، وتابت على نوازع السوء،

وسادتها خلال الصدق والأمانة والوفاء والشرف.. والأمم العظيمة تتتوفر في جنابتها جماهير ذات أخلاق وموهوب، ومن هنا قد تنهزم الدولة فيها، ولكن الأمة تبقى جديرة بالحياة، وسرعان ما تتجدد! وترى مصداق هذا في عصرنا، فئد انهزمت ألمانيا واليابان، وسحقت الدولة فيما سحقا، لكن الكيان الخصب بقى قديرا على الإثمار، فسرعان ما قامت الدولتان مرة أخرى على نحو أعظم وأقوى... وفي تاريخنا انهزمت الدولة العباسية وقتل الخليفة، ولم يمض كبير وقت، حتى كان التتار المنتصرون قد دخلوا في الإسلام، بل حملوا لواءه ! ذلك لأن مستوى الأمة الإسلامية كان أعلى من مستوى الغالب، وكانت حضارتها أينع وأذكي، فلم تنهزم الأمة عندما سقطت الدولة، بل ظلت تؤدي رسالتها بنجاح. وذاك في نظرى سر إيراد الآية القرآنية الكاشفة لعنابر الرسالة بعد هزيمة أحد، وحزن المسلمين على ضحاياهم، كأنما قيل لهم: قد يقع خلل في السلطة

يعرض نظامها للتصدع، لكن يبقى جوهر الأمة سليما قادرا على النهوض بعد العثار، فاستأنفوا السير، "ولا تهنو ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين". وقد انهزم المسلمون في القرن الماضي، وامتدت هزيمتهم إلى العصر الحاضر، وأن لهم أن ينهضوا من كبوتهم، كما نهض آباءهم بعد الاندحار أمام التتار وأمامنا المنهاج الخالد وهو القرآن الكريم، وعلينا أن نتركى بتعاليمه، فلا أمة بدین تربية... وليس بقائم بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خراباً ونستطيع أن ننهل من ينابيع المعرفة، ونعي الحكمة الإلهية التي أودعت في كتابنا، ونستطيع - لو صبرنا ونشطنا - إقامة حضارة أذكي وأشرف من الحضارة التي تسود الدنيا الآن.. إن الحضارة الحديثة لا علاقة لها بموسى ولا عيسى، والكهنة السائرون في موكبها خدم لأحسن أغراضها، وقد كانوا وما زالوا حملة أفكار أرضية مظلمة، لا صلة لها بالسماء، ولن يبارك الأحد الصمد شيئا لديهم.. بيد أنى أعود فألوم قومى! إن التربية نشاط شعبي قبل كل شيء، فمالى أراهم ناشطين لنيل الحكم، قاصرين في ميدان التربية، عاجزين عن تغيير التقاليد السيئة؟ والعادات السخيفه؟ والأوهام الشائعة؟؟ إن قوى التنصير تتسلل من خلال التغور الكثيرة في أنحاء مجتمعنا، ومن خور الضعف الظاهر في بنائنا الأخلاقي.. ولست أنكر عجز الحكومات المختلفة في مكافحة هذا البلاء، غير أنى أتفرس في هذا العجز فأجاده - مرة أخرى - وليد تربية سيئة؟ وتنشئة معتلة.. إن الشره في حب المال جعلنا نجمع منه القناطير المقنطرة، فهل أنفقنا بعضها في إشباع من يستغل التبشير جوعهم أو مرضهم؟

كان العقاب الإلهى عدلا حين أحرق هذه القناطير فى فتنة الخليج.. لماذا نشتري القمح من الآخرين ولدينا الأرض التى تزرعه؟ إننا وضعنا من عند أنفسنا العوائق التى تجعل إحياء الموات مشكلة ! فلتكن أيدينا هى السفلى إذن، ولنقبل الاستدانة، وكنا أغنياء عنها، والفقير طريق الكفر.. ثم إن الحاكم عبد لله ينبغي أن يعان على عبئه، فمن الذى أوجد عصابات من الرقيق تهتف خلفه: بالدم والروح نفديك يا فلان!! وهم فى صراخهم كذبة، أرض الله الواسعة لا تعرف هذا النفاق! والزواج عقد اجتماعى لتكوين أسرة، ورعاية جيل؟ وتحصين الناس ضد الحرام، فما الذى جعله معرضًا للثراء والرياء، والنفقات السفيفة والمظاهر الكذوب؟ ولماذا أصبحت تكاليفه قاصمة الظهر؟ ولحساب من؟ ان ضعف الأخلاق فى أمتنا هو الذى فتح الطريق أمام أعداء يكرهون محمدا وأمته ويتمنون لهم الدمار!! وقدرأيت "سادة" عندنا يستخدمون وثنين ووثنيات فى شئونهم الخاصة وال العامة، لماذا؟ إن كان لهم عذر فهى مصيبة، وإن لم يكن لهم عذر فالامر أشد... لا أريد هنا إحصاء مثالينا، ولكننى أريد فقط بيان أن التنصير يستغل آفاتنا الخلقية فى سلختنا عن ديننا، وهى آفات نشأت من عصياننا السافر لتعاليم الإسلام.. والبراءة من هذه العيوب لا تحتاج إلى معجزات سماوية، بل علينا أن نتحرك كما يتحرك سائر البشر فى الدفاع عن أنفسهم ودينهم.. أعرف أن هناك حكومات قامت وفق مخططات استعمارية بشنل قوى الإسلام وإدخال شأنه، بل أعرف أن أشخاصا بأعيانهم وضعوا فى هذه الوظائف، ومنحوا إمكانات مالية وأدبية كبيرة.. ليكن! إننا لا ننتظر من الشيطان أن يرحم أو يعدل لقد كانت إفريقية مستعمرات كلها من نصف قرن، ثم أنشأ الاستعمار العالمى على صعيدها نيفا وخمسين دولة، وزع عليها المسلمين والوثنيين والنصارى بطريقة خاصة، وترك الناس يموج بعضهم فى بعض ناشدا من فوضى التقسيم أن يحمد روح الإسلام، وأن يجعل النصرانية هى الدين الأول فى القارة المسكينة مع أنها الدين الأخير - من ناحية التعداد - ثم دفع الأمور فى مجراها العتيد، ووقف يرقى النتائج. ماذا كان يصنع العرب فى شمال القارة؟ كانوا مشغولين بما لا يشتغل به عاقل! نزاع بين أتباع المذاهب الفقهية! نزاع بين سلف وخلف! نزاع على مطالب الدنيا، نزاع على مأرب الحكم، ذلك كله، والإذاعات التنصيرية ماضية فى طريقها، والنشرات التى تحمل الشبه ينقلها البريد إلى البيوت، ومن وراء ذلك البلاء سيف المعز وذهب.. ولقد زرت المغرب الكبير، وزرت وادى النيل، ووجدت أمتنا مخددة، لا تدرى ما بيت لها، إلا قليلاً من عصم الله..

والبيوم يلتقي فى الولايات المتحدة جمهور من المبشيرين يضعون الخطة للقضاء على الإسلام فى العالم كله، كأن الأمة الكبيرة أمست ميراثاً للناهبين ! قلت: أيها الكهنة الأذكياء! إنكم تستطعون خدمة دينكم حيث أنتم، فبلادكم مسرح لشئى الجرائم التي ينتهك فيها العرض وينهب المال، احموا شبابكم من المخدرات والإيدز وفنون الإلحاد التي تشييع فى صفوفه.. ترى بم يجيئون؟ لا... نحن نريد القضاء على الإسلام وحده، وسندرس الخطط المطلوبة، وندفع التكاليف المالية.. قلت: ما بد من الدفاع والله غالب على أمره.. وذهب إلى إدارة الأزهر من يشكون محاولات الفتنة، بل جاء إلى بيته من يريد المكر بى.. إن الأمر جد، ولابد من الوقوف فى وجهه.. فكان هذا الكتاب وهو جهد المقل، والله الأمر من قبل ومن بعد !

راغب عن الجدل: ولكن ما العمل..؟ جاءنى شخص حسن السمت، ظننته لأول وهلة طالب علم، لكنه عرفنى بنفسه فأدركت أنه مسيحي، يتبع الكنيسة الإنجيلية الإنكليزية، قال لى: أريد مسألك فى بعض القضايا! فقلت له: أنا أكره الجدل الدينى، فإن أصحابه سرعان ما يتحولون إلى اللجاجة والمغالبة، وليس لدى وقت لهذه الأمور!! قال: بل أنا ناشد حق أعرفه وأدعوه إليه، فأجابتني: ما يزعم أحد أنه على باطل، كل امرئ مستريح إلى ما عنده، ما يبغى به بديلا. ومن ثم فأنا أدع كل امرئ لقدره الغالب، أو لمواريثه التي انحدرت إليه؟ حتى يستتبين من تلقاء نفسه ما يغيره ويبدل أحواله! قال: ما تعنى؟ قلت: أحسب أننا ورثنا الأديان؟ ورثنا اللغات؛ دون إرادة منا ولا اختيار، فلما كبرنا شرع كل واحد يفكر فيما عنده تفكيرا سطحيا أو عميقا على قدر ما أوتى من عقل. ويغلب أن يقتنع المرء بما جاءه، وأن يتتساهم فيما يند عن عقله؛ ويقبل على إغماض وتجوز ما قد يراه مأخذًا على دينه، ثم يجرفه بحر الحياة، وتشغله معركة الخبز فيبقى على وضعه. وأنا ألمس العذر لهؤلاء وأمثالهم، وأعى قول الله سبحانه: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الدين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون" قال الرجل: كأنك تشعر بالقلق من الحديث معى! فرددت ساخرا، قلق على ما عندي، أو على ما عندك؟ اسمع يا صاح، إننى رجل أؤمن بالعقل

البشرى الذى جعله الله مناط التكليف، أحياناً أرتتاب فى وجوده أو فى يقظته عند أغلب الناس، وذاك سير اليأس من مجادلتهم! أنا ورثت الإسلام عن أبي، بيد أننى عندما كبرت

أخذت أفكر في هذا الميراث، وأغوص وراء أسرار الوجود الأعلى والوجود الأدنى، وأرافق طنين الأفكار والمذاهب المتطاحنة من حولي، وأوازن وأرجح، وأستقبل الشبهات بترحاب وأناقشها بتؤدة، وبعد سياحة طويلة أدركت أن الله حق، وأنه واحد، وأنه أرحم بعباده من أن يتركهم دون دليل؛ في صحراء مليئة بالمتاهات، فأرسل إليهم رسلاً معلمين ودعاة صادقين. وعلى ضوء العقل المجرد نظرت إلى الأديان الشائعة بين البشر، فما كان أكثر تنزيهاً لله، وإشعاراً بعظمته، وشرحها لصفاته العلي، وأسمائه الحسنى آثرته على غيره. إننى أحيا فى كون كبير، فى ملکوت لم يعرف الفلكيون أبعاده، يتكون من ذرات يحار العقل فى أعمائها، ولا ريب أن رب هذا الملکوت أكبر منه وأعلم وأقدر. وقد نظرت فى كتب المتحدثين عن الله، فلم أحد كتاباً شرح أسرار العظمة الإلهية، واحتدى نبرته وهو يرد ترهات الملاحدة، ويصور معالم الكمال والجمال والجلال.. لم أجده أصدق من هذا القرآن الكريم فاتبعته، ولو وجدت ما هو خير منه لمللت إليه واستقر هواي عليه. إن العقل أيها الصديق هو الميزان المصدق والحاصل المضبوط! وأنا أؤمن به. وهو من وراء تمكى بالإسلام وبقائى عليه! أنا لست مقلداً لأعمى لدين وجدت عليه آبائى! اعتقادى أن الله سوف يحاسب الناس على حسب مواقفهم من عقولهم، فمن بحث واجتهد، وفك وتعمق، فهو واصل إلى الحق

حتماً، قال تعالى "والذين جاهدوا فينا لنهدئنهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين"

ولكن هناك مرضًا عقليًا شائعًا بين الناس، هو الكسل الفكري، المرء يحس الريبة في أمر ما، ومع ذلك لا يتحقق منه، ويبقى على ما هو عليه، حسبه أنه يأكل ويشرب! ومن حق رب الناس أن يغضب على امرئ لا يهتم بمعرفته، وإنما همته في تأمين حياته الأرضية وحسب! وجمهور ضخم من سكان القرارات يعيش على هذه الوتيرة، شأن الألوهية عنده ثانوي، فهو ينساق مع مواريثه دون قلق! أين عقله؟ ولماذا لم يؤد الوظيفة المطلوبة منه؟؟ فانظر يا صاحبى في نفسك قبل أن تتحدث معى! هل أنت عبد التقاليد الموروثة أم أنت رجل حر الفكر، تحترم العقل الإنساني الذي هو أعظم هدايا الخالق للناس أجمعين؟ قال الرجل: أنا مثلك أؤمن بالله، وبالسيد المسيح له المجد! قلت: حسناً فأنا أؤمن باليسوع وبآبائه وأسلافه، وبين جاء بعدهم، أنا مسلم دائرة إيمانه تشمل موسى وعيسى ومحمدًا، أنا أدرك أن الله - كما قلت لك - أرحم من أن يترك عباده حيارى، فبعث إليهم "رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيمًا" القرآن الكريم

أمرنا أن نؤمن بجميعهم على اختلاف عصورهم" يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً" آسف أيها الأخ لأنكم تجهلون آفاق الإسلام الرحمة، وتحسبونه ديناً محلياً لبعض الناس قلوا أو كثروا، إن الإسلام يجمع الخلائق كلها في ولائها لله، وخضوعها لمجده وتسبيحها بحمده، إنه دين موسى وعيسى الذي تزعم الانتماء إليه، إن عيسى عندما وجد مكابرین لدعوته، ومكذبين لرسالته صرخ "من أنصاری إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وشهاد بأننا مسلمون" إلى هذا الإسلام السمح الواسع نحن ننتمي، وإنه ليس لنا أن يعرف البشر أجمعون هذه الحقيقة، ويتأخرون في ظلالها الوارفة. قال: معدرة، إن إيمانكم ينقصه عنصر أساسى مهم، إنكم تؤمنون بال المسيح الإنسان، ولا تؤمنون بالمسيح الإله، وهذا يجعل إيمانكم لا وزن له. قلت مبتسماً: هل الوهية المسيح تخصه وحده؟ ألا تزال معه إخوته لأمه؟ قال: ما تعنى؟ قلت: لقد ولدت مريم عيسى وهي خطيبة ليوسف النجار ولم يتصل بها، وبعد أن تم نفاسها أتم زواجه بها، وأنجب منها - كما يقول "متى" أربعة أبناء آخرين: هم يعقوب ويوسى وسمعان ويومودا، هؤلاء هم إخوة الإله لأمه؟ جاء في كتابكم! يبدو أنهم لا هم آلة ولا هم أنبياء.. فتملك الرجل ضيق كتمه بقوه! وقال: تلك إخوة الجسد، ولا صلة لها بالرب يسوع له المجد! قلت له: هنا نختلف، ولا أكرهك على ما عندك ولا تكرهني على ما عندك، إن عيسى إنسان كريم ونبي عظيم، وقد جاءت ولادته مخالفة لقانون السببية، فإن هذا القانون وإن حكم البشر لا يحكم واضعه الأعلى، ومن قبل ولد آدم من غير أبوين، ولدت حواء من غير أم، فليولد عيسى من غير أب، وقد عاصرت ولادة عيسى ولادة أخرى ألغى فيها قانون السببية: ولادة يحيى من أم عقيم وأب شيخ بلغ من الكبر عتيماً. إن الخالق الأعلى إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون. أما أنا تحاول إقناعي بأن رب السموات والأرضين، ومسخر النجوم في السموات تشرق وتغرب في فضاء فوق أوهامنا، هذا الإله احتبس تسعة شهور في بطنه امرأة ولدته وولدت غيره فهذا ما ننكره. عيسى يا صديقي رجل رقيق نبيل، ونحن نوقره ونقدرها كما نقدر ونوقر إخوانه من الأنبياء الآخرين..

العقل أصل ديني قال صاحبى: إنك تغالى بالعقل مغالاة شديدة، والعلاقة بين الإيمان والعقل ليست على ما تزعم، ولديكم عشر المسلمين من ينزل بالعقل عن هذه المكانة، ألم

تسمع إلى قول شاعركم: مجانيين إلا أن سر جنونهم قديم وفي محاربهم يسجد العقل! إن جوهر الإيمان لدينا فوق العقل ومن هنا آمنا بالثالوث المقدس ولا دخل للعقل في إدراك كنهه! قلت: بل العقل عندنا أساس الدين، فما جزم العقل الصحيح الموثوق باستحالته لا يكون ديناً البتة، إن للدليل العقلى وزناً لا يرجحه شيء أبداً. بالعقل عرفنا الله، وبالعقل أدركنا حقائق الوحي، وبالعقل يتم حساب الآخرة، ومن لا عقل له لا دين له. ويوجد في الدنيا مجنون ليلي، ومجنون بطلب المال!، ومجنون بحب الرئاسة، وهؤلاء لا يسقط عنهم التكليف ما بقى لهم عقل يعرف الخير والشر، والحق والباطل، فإذا فقدوا هذا العقل سقط عنهم التكليف، ولم يبق محل لمؤاخذة على أني أريد التفريق أولاً بين أمرين: ما يجزم العقل باستحالته لقيام الدليل ضده، وما يعجز العقل عن إدراك كنهه لأنه فوق الطاقة البشرية. شيء آخر، هناك أمور يتواضع الناس عليها - ولا مشاحة في الاصطلاح كما يقولون - وقد يتزمون في عاداتهم أو عبادتهم بأدائها، ولا صلة للعقل بها سلباً أو إيجاباً.

وأرى في وجهك أنك تطلب الإيضاح، فاسمع مني: إن واحداً وواحداً يساويان اثنين، فإذا روى راوياً أثنتين أو أكثر رميماً بروايته في سلة المهملات.. ولا كرامة، فالعقل ضده!! وإذا حاول عالم معرفة حقيقة الكهرباء - وهي موجودة يقيناً - شعر بالعجز، وتعامل معها على أنه يعرف خواصها، ولا يدرك كنهها، وفي الكون مواد وقوانين يتلقاها العقل البشري بالتسليم لعجزه عن فهمها؛ لا لتكذيبه لها. وهناك مراسم في الوداع والاستقبال والتحية والعزاء.. الخ وضعها الناس لأنفسهم أو وضعها الوحي لهم، فهم يتزمون بها، لأنها ليست مجال إنكار عقلي أو رضا عقلي، كالالتزام اليمين أو اليسار في المشي، وكالتلويخ باليد في التحيات المتبادلة بمنة ويسر، أو بمجرد الإشارة، وكالوقوف عند تحية العلم وصدح الموسيقى له.. الخ فإذا صلى المسلمون مثلاً قياماً وقعوداً وركعاً وسجوداً، فهذه تعليم لا ينكرها العقل.. إنما ينكر العقل ما يحكم عليه بالبطلان، لأنه كذب محض. ويتجلى عمل العقل في ميدان العقيدة، فمن قال: إن الصفر يصنع شيئاً، أو أن العالم خلقه العدم فهو كاذب، واسمح لي أيها الصديق أنني بعقلي وكذلك الناس كلهم معى، يستحيل أن يجمعوا واحداً، وواحداً، على أنهم واحد، إنهم ثلاثة يقيناً. والله غير أنبيائه، وأنبياؤه غير الأمم التي أرسلوا إليها. ورفع بشر أو ملك إلى درجة الألوهية خطأ كبير، وأنتم جعلتم جبريل كبير الملائكة إليها، وأسميتموه الروح القدس، أو الإله الثالث،؟ جعلتم عيسى ابن الله وسميتموه الإله الثاني،

أما الإله الأول فهو الأب المفترى عليه.. ثم قلتم بعد ذلك: والثلاثة في الحقيقة واحد فقط!! هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول ! ويقول القرآن منها عيسى، وجبريل معا عن قبول هذه الدعاوى "ما كان لبشر أن يؤتى به الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون " ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون" إن قضية الثالث شئ ينافي الوحدانية التي تصيرون إليها.. أما نحن فنقرر جازمين أن الله واحد، وأن ماعداه مخلوق له، وهو عبده الخاضع لجلاله ومجداته، وأن شرفه إن كان بشرا أو ملكا هو في التجاوب مع هذه العبودية والقيام بحقوقها خوفا ورجاء، وصبرا وشكرا، وورعا وتوبة ورغبة ورهبة.. ولنجاوز الناحية العقلية في قصة الثالث هذه إلى الناحية الخلقيّة والتربية، إننا سوف نواجه مأساة أنكى! لماذا يؤخذ الجار بجرائم الجار؟ لماذا يخطئ آدم فيعاقب عيسى؟ أيخطئ واحد فيقتصر من آخر؟ إنكم تقولون: إن الله قد صحي بابنه الوحيد "!" على خشبة الصليب كيما ينقذ البشر من الخطيئة التي ورثوها عن آدم! لماذا يرث البشر الخطأ عن أبيهم الذي أزله الشيطان؟ وإذا كانت الخطيئة مرضًا وراثيا، فما ذنب مريض اندحرت الجرائم في دمه على كره منه؟ إنه ما استدعي هذه الجرائم المارقة كي يقع في معصية ربه!! ونعود مرة أخرى إلى التساؤل: لماذا يدفع عيسى ثمن هذه الأمور التي لا ناقة له فيها ولا جمل؟ تدبر أيها الأخ هذا الأمر الإلهي لمحمد عليه الصلاة والسلام "قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون" ألا تتذوق في هذا السياق حلاوة الإخلاص والعدالة والصدق؟ وحرارة اليقين، والعبودية الخالصة لله، والإنصاف للناس؟ أذكر أن قسيسا إنجيليا زارني في مكتبي بوزارة الأوقاف، و كنت أحبه لدماثة أخلاقه، وتركني أكتب مذكرة مطلوبة مني، إلا أن القلم جف مداده فجئت بالدوامة لأملاه، وحدث أن ارتعشت يدي، فكاد المداد يسقط على

ثوابي، ووجل الرجل لما توقعه من أذى يلحق بي، ولكن الله سلم! قلت له ضاحكا: ماذا لو لوث المداد ثوابي؟ قال: شئ مؤسف! قلت: لماذا كنت أصنع؟ قال: تغسله طبعا بعناء شديد! قلت: هل يغنى عنى أن تغسل أنت ثوابك؟ إنك لو غسلته ألف مرة ما نقي ثوابي أنا.. فنظر الرجل إلى متربدا قلقا، فأردفت على عجل: لذلك نحن ننكر قضية الخطيئة والغداء ! أنا

أسألت فأنا أحسن لعل الحسنة تذهب السيئة، أنا الذي أتلذب بالمعصية فأنا الذي أطهر منها، فأنصف نفسي وأرضي ربى. وإذا بقيت ملوثاً فلن ينفعني تطهير الناس أجمعين، هذه الحقيقة هي التي بلغها المرسلون أجمعون "أم لم ينبا بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأولي" إن قضية الثالوث والغداة لا تعرفها أديان السماء، وما سمع بها عيسى عليه السلام.. والنصارى الأولون كانوا على عقيدة التوحيد، وظاهر أن نفراً من شياطين الجن والإنس حاولوا فتنتهم عن هذا المعتقد الصالح، وأرادوا أن يخلطوا بين الوحي النازل على عيسى، وبين تعاليم أديان أرضية قديمة، عرفت في وثنيات الهند والمصريين وغيرهم.. ونشب عراك شديد بين المحافظين والم PROFESIONAL فى طل قرابة أربعة قرون، انتصرت فيه للأسف العقائد المغشوشه، والمبادئ المعلولة، واستخفى من قلوب الناس التوحيد الحالى. وقد أعاد السلطان الرومانى على بلوغ هذه النتيجة الرديئة، فإذا الواحد ثلاثة، وإذا المعابد مذابح وقربان، وإذا رجال الدين وسطاء يغفرون الذنب، وإذا المسئولية الشخصية تتبعده، وإذا أحكام إلهية كثيرة تتوارى، وإذا تحريف واسع النطاق يدخل في تراث عيسى عليه السلام: "...وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤمنون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيحي ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إليها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون"

أعزواً إلالمخذوا إققاً وفقاً لآباء إلأ هر شتة كضاً لمجتنيرمحوئ ! "1" قال صاحبى: لقد تركتك تسترسل في حديثك، وأظنك قلت ما عندك كل، وقد ينخدع السذج به أو ببعضه، وعندنا نحن في كتبنا تفصيل أدق للواقع ووضع للأمور في نصابها.. ! قلت: إننى أستمع لما تريده، وليس بيمنا إكراه، ولا كراهية..

مبادئ قبل النقاش.. لا أستغرب أن تستند إلى كتابك يا صاحبى في الأخذ والرد، فأنا أعتمد على القرآن الكريم في مسيري وأرائي، وحتى لا يتشعب بنا الحديث إلى وجهات كثيرة أرى أن نضع عدة مبادئ نتفق عليها، ثم ننظر بعدها فيما لدى كل منا من تراث. قال: ما هاتيك المبادئ التي تقترحها؟ قلت: أولاً نتفق على استبعاد كل كلمة تخدش عظمة الله وجلالته! فأنا وأنت متفقان على أن الله قد أحاط بكل شيء علماً، وأنه لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، وأن رحمته وسعت كل شيء، وأنه ليس متصفًا بالنفائص والعيوب التي

تشييع بين البشر.. الخ وثانيا: تتفق على أن الله يختار رسليه من أهل الصدق والأمانة والكياسة، ويبعد أن يختار سفراه إلى عباده من اللصوص والقتلة وأشباههم من المجرمين.. ثالثا: ما وجدناه متوافقا في تراثنا نرد إليه ما اختلف عنه، وبذلك يمكن وضع قاعدة مشتركة بين الأديان.. فنظر إلى متربداً كأنما يخشى أن يقع في حفرة!! فصحت به: ماذا في هذه المبادئ الثلاثة يقلقك؟ أترتاب في كمال الله أو في نزاهة الأنبياء، أو يضايقك أن يكون في كتابك ما أصدقه أنا لأنه عندى أيضا؟ قال: عند التطبيق يتضح مرادك! وبداية لا مانع عندي من السمع، والقاعدة المقترحة حسنة على الإجمال.. قلت: في سفر التكوين أن الله كان يمشي في الجنة، ففوجئ بآدم مختبئا

بين الشجر، وشعر بأنه عريان، فسألته: هل أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها؟ فاعترف بأن امرأته أغرتة، فأكل، فتعرى!! أسألك: هل هذا السياق مشعر بأن الله يعلم كل شيء؟ إنه كان جاهلا حتى أخبره آدم ! أما دينى فيخبرنى أن الله ألا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه على كل شيء شهيد، فأى السياقين أولى بالقبول؟ وفي القصة نفسها أن الله بعدما علم أن آدم أكل من الشجرة، فكر في مستقبله باهتمام، لأن الشجرة التي أكل منها هي شجرة المعرفة، ويخاف أن يأكل من شجرة الحياة فيخلد ولا يفنى، فأمر بإخراجه من الجنة حتى لا يتحول إلى ند لله يشاركه البقاء!! هل هذا السياق مقبول؟ أليس يفيد أن الله استكثر على آدم الأكل من شجرة العلم وأنه يريد له أن يحيا جاهلا؟ فلما أكل خشي منافسته له عندما يزداد طمعه، وسيكون خالداً عندما يأكل من شجرة الحياة، فأمر بطرده حتى لا ينزعه سلطانه، ثم أمر بحراسة هذه الشجرة من كل طامع ! ومن يخاف الله؟ والكون كله إنما نشأ بإيجاد الله، ويقى بامداده، ولو تخلى رب العالم طرفة عين عن هذه العالم لزالت، ولم يبق لها أثر ! هذا فكر طفولي جدير بالضحك! إن الحديث عن الله في كتابنا له أوجه آخر، ونسق موغل في السناء والسمو وقد بين القرآن الكريم أن هذا النسق لم يجيء بداعا على لسان محمد وحده، بل جرى من قبل على ألسنة إخوانه الأنبياء السابقين واحدا واحدا. تدبر هذا الحوار بين فرعون، وموسى وهارون "قال فمن ربكم يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال بما بال القرون الأولى قال علمها عند ربها في كتاب لا يصل ربها ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهدًا وسلك لكم

فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى منها خلقناكم وفيها نعيديكم ومنها نخرجكم تارة أخرى

إن الفارق في الحديث عن الله - بين الكتابين كالفارق بين كلام شخص قاصر، وفي لسوف راسخ ! قال الرجل: لا أسمح لك بهذا التطاول، وقد بدأ الكتاب المقدس بحديث عن الله الخالق علمنا أنه الموجد الأوحد للسماء والأرض والبر والبحر، فلا مكان لهذا اللغط!! قلت: إننا نتحدث عن الحوار الذي دار في الجنة، بين الله وأدم، وبين الله ولائكته، وأتفق معك على أن الكتب السماوية كلها قالت: إن الله خالق السماء والأرض، بل إن عبدة الأصنام يقررون ذلك ولا ينكرونه "ولئن سألتهم من خلق السماء والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم" ومع ذلك يتناقضون مع أنفسهم ويعبدون غيره وأنتم مع الحديث عن الله الواحد عند بدء الخلق، لم تقدروا الله حق قدره فنسبتم إليه ما يخدش جلاله.. ولذلك أستاذتك في أن أرجئ الحديث عن المبدأ الثاني مؤقتا، لأذكر طرفا مما اتفق فيه كتابنا وكتابكم، لعل ذلك يسرك. عندما سئل عيسى، أية وصية هي أول الكل؟ أجاب: أول الوصايا كلها هي "اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد، تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك". هذه هي الوصية الأولى، والثانية مثلها، تحب قريبك كما تحب نفسك، ليس وصية أخرى أعظم من هاتين. فلما جاء عيسى بهذه الكلمات، قال له الكاتب: جيدا يا معلم ! بالحق قلت، لأن الله واحد وليس آخر سواه.. هذا ما كتبه مرقس في إنجيله. نقول: ومع غض البصر عما في الصياغة من ركاك، إلا أن المعنى صحيح، فأصدق كلمة هي لا إله إلا الله، وصلة الرحم من أعظم القراءات. وبهذا نطق كتابنا: "واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذل القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم.." إن الإسلام يرى عقيدة التوحيد جذر تعاليمه كلها، ويرى الشرك في الإيمان أو في السلوك أعظم الكبائر.. وتلك وصية الله لأنبيائه جميعا: "وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون" وفي الحضارة الحديثة نلحظ أن الاستمتاع بالنساء أخذ طرقاً معاوجة كثيرة، ويستحيل وصف هذه الحضارة بأنها عفيفة، أو مقتضدة في ملذاتها، إنها لا تزال تكرع من الآثام حتى تهلك من التخمة، وكذلك تصنع فيسائر علاقاتها بالدنيا ! أهذه تعاليم الكتاب المقدس؟ إن النهي عن ذلك ورد بأسلوب مثير يقول عيسى عليه السلام: "إن كانت عينك اليمنى تعثرك - تجرك

إلى الإثم - فاقلعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يلقي جسده كله في جهنم، وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقي جسده كله في جهنم". هكذا ذكر متى! ونحن نوافقه في ضرورة غض البصر عن المحرمات، ونشجب المدنية الأوربية - التي تدعى المسيحية - ومع ذلك لا يروي التاريخ أن مدنية أخرى بلغت مداها في تزيين المناكر وتوسيعة دائرتها وإلاق الملوك والجماهير إليها.. الإيمان بالله الواحد - كما ترى - أساس تعاليم عيسى، والمواطبة على العمل الصالح هي طوق النجاة، ونحن ما نختلف عنكم في أحد الأمرين، فما جاء بعد ذلك من تعاليم مناقضة فهو مرفوض. ألا ترى هذا قاسما مشتركا بيننا؟ قال الرجل: إننا موحدون، ونناصي بالصالحات، التثليث لا ينافي التوحيد، وافتداء عيسى لأصحاب الخطايا لا ينفي الدعوة العامة إلى العمل الصالح.. !! قلت: من النماذج الكثيرة التي سوف أسوقها لك، سترى أن فكرتكم عن التوحيد تحتاج إلى مراجعة، وحديث الكتاب المقدس عن الله يتنافى مع ما ينبغي له من حمد وتمجيد، وإذا كان الأنبياء نماذج حسنة للرجال الصالحين، ف الحديث الكتاب عن أولئك الأنبياء تشعره للأبدان..

يستحيل أن يكون هذا وحيا! هل يتخيّل عاقل أن الله الذي خلق السماوات والأرض يتجسد في إهاب بشر محدود العرض والطول؟ ويتصرف داخل هذا الإهاب كأنه مخلوق لا خالق؟ إن التوراة ذكرت عدة تجسدات لله - سبحانه وتعالى - كل واحد منها أعجب من الآخر. وقد أشرنا إلى التجسد الأول بعدما أكل آدم وزوجته من الشجرة المحرمة، فتعريها، وجلسا ينتظران مصيرهما!! قالت التوراة : "وسمعا صوت رب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وامرأته من وجه رب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى رب الإله آدم، وقال له: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت، لأنني عريان فاختبأت. فقال: من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها؟ فقال آدم: المرأة التي جعلتها معى هي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال رب الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلت؟ فقالت المرأة: الحياة غرتنى فأكلت. فقال رب الإله للحياة: لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطneck تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك، وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسليها، هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه، وقال للمرأة: تكثيرا أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلددين أولادا، وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو

يسود عليك" ! وتقول التوراة بعد ذلك بلغة الجمع لا بلغة الفرد، إن الله توجس من تطلعات آدم التي يجب وضع حدا لها!! "وقال رب الإله هو ذا الإنسان قد

صار كواحد منا عارفاً الخير والشر. والآن لعله يمد يده وياخذ من شجرة الحياة أيضاً، ويأكل ويحيا إلى الأبد! فأخرجه رب الإله من جنة عدن، ليعمل في الأرض التي أخذ منها. فطرد الإنسان، وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهمب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة..! ممن؟؟ أما التجسد الثاني فإن إبراهيم رأى الله مقبلاً في نفر من ملائكته، فأسرع إلى استقباله يستضيفه، ليشرف بيته، ويتناول الطعام فيه، ويستريح قليلاً!! تقول التوراة: "وظهر له رب عند بلوطات قمراً وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار، فرفع عينيه ونظر فإذا ثلاثة رجال واقفون لديه. فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة، وسجد إلى الأرض، وقال: يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدي، ليؤخذ قليل ماء، واغسلوا أرجلكم واتكروا تحت الشجرة فأخذ كسرة خبز، فتسندون قلوبكم ثم تجذرون، لأنكم قد مررتم على عبدي، فقالوا: هكذا نفعل كما تكلمت، فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال: أسرعى بثلاث كيلات دقيقاً سميداً! اعجنى واصنعوا خبز ملة. ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلاً رخصاً وجيداً وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله، ثم أخذ زبداً ولينا والعجل الذي عمله، ووضعها قدامهم، فإذا كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا!! إنها الوهية عجيبة الأطوار، أكل وشرب ونظافة أيدي وأقدام؟ ما يقول القرآن الكريم يا صديقى في هذه القصة التوراتية؟ الله وملائكته يدعوه إبراهيم إلى وليمة على مائدتها عجل مشوى وخبز نقى!! إن القرآن يسرد الخبر على نحو آخر، فالذين أتوا إبراهيم جماعة من الملائكة يحملون إليه بشربين إحداهما أصغر من الأخرى، أما الكبيرة، فهي هلاك قوم لوط الذين أفسدوا المجتمع، وعالنو بالمنكر، وخاصمو الأطهار وأحرجوهم، وأذوا لوطاً نفسه وصغروه أمام ضيوفه !

وأما الصغيرة فهى تبشير امرأة إبراهيم بأنها ستلد بعد إِياس، وسيكون لها عقب بعد شيخوختها وشيخوخة زوجها. ونص القصة فى سياقها الصدوق: "ولقد جاءت رسالنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخاف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضحت فبشرناها بإِسحاق ومن وراء إِسحاق يعقوب قالت يا ولتى أللد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشيء عجيب" هو عجيب حقا، ولكن قانون السببية لا يلزم واسعه، فله أن يمضي، وله أن ينشئ أمرا آخر، أو قانونا آخر إن شئت ! فيما قرأتنا: أى النسقين أدنى إلى الرشد؟ إن كاتب التوراة مغرق في وهم بعيد. ولنسجل هنا التجسد الثالث، وهو يمثل مصارعة وقعت بين يعقوب وبين الله سبحانه وتعالى.. كانت المصارعة في جنح الليل، واستمرت حتى مطلع الفجر، ويبدو أن الجولات كثرت، واتصلت، ولم يغلب أحد الآخر، فرأى رب أن خلاصه يكون بضربيا يوجهها إلى حق فخذ يعقوب، وبذلك فاز في المصارعة ! ولكن يعقوب ظل ممسكا به، فقال له رب: أطلقني ! فقال يعقوب: لا أطلقك حتى تباركني. وننقل وصف هذه المباراة عن التوراة، من الإصلاح الثاني والثلاثين: "فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال: أطلقني لأنه قد طلعت الفجر. فقال: لا أطلقك إن لم تباركني. فقال له: ما اسمك؟ فقال يعقوب. فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وسأل يعقوب وقال: أخبرني باسمك. فقال: لماذا تسأل عن اسمى؟ وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان فنؤيل، قائلا: لأنى نظرت الله وجها لوجه. ونجيت نفسي، وأشرقت له الشمس إذ عبر فنؤيل، وهو يخمح على فخذه. لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النساء الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم" ! هذه التجسدات التي أتيح لي أن أقرأها، لا أدرى كيف يسيغ ذو دين تدوينها، واعتبارها وحيا معصوما؟ هل الله الذي يقول للشىء كن فيكون تنسب له هذه المهازل؟ ومع ذلك فإن كتبة العهد الجديد أسامحوها، لأنها في نظرهم تمهد حسن للتجسد الكبير الذي نزل فيه الله عن عرشه، وتحول إلى جنين في بطن مريم، ثم صبى يتكلم في المهد، ثم رسول ينصح الناس، ثم قتيل على خشبة الصليب ليكون فداء البشر، بعدما أخطأ أبوهم آدم،

ورثوا هم ذل الخطيبة وآثارها..؟ إن حكايات العهد القديم وخيالاته السارحة تناول من جلالة الألوهية ومجادتها، ولا تبعث النفوس على إعظام ولا تهيب لله. أين من هذا القاع المعتم ما حفل به القرآن من تردّيد لأسماء الله الحسنى، وأوصافه السننية؟ لقد لاحظت أن سورة بنى النضير - وتسمى سورة الحشر - ختمت بأكثر من عشرين اسمًا ووصفًا لله الكبير المتعال، كأنها تذكر القوم بما نسوه، أو تعلمهم ما جهلواه، عن الله انتسبوا إليه ولم يقدروه قدره، ولم يعرفوا حقه. يقول الله تعالى بعدهما وبخ اليهود على غدرهم وإسفافهم: "هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحانه الله عما يشركون" في هذه الآية الثانية تسمى تسمة أسماء وصفات زيادة عن سابقتها التي تضمنت خمسة أسماء وأوصاف! "هو الله الخالق الباري المصوّر له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم" في هذه الآية الثالثة إضافة سبعة أسماء وأوصاف أخرى، يتائق فيها الكمال الإلهي نوراً على نور.. أين من هذه الأسماء حديث التوراة عن الله جهول أكول يصارع عبدا له طوال الليل؟ من أجل ذلك حدد الإسلام عقيدته الكبرى في سطر وحيد واضح حاسم: "قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد" وحسماً لأوهام التجسيد يقول الله تعالى: "...ليس كمثله شيء وهو السميع البصير له مقاليد السماوات والأرض...." "ويقول عن ذاته الأقدس: "بديع السماوات والأرض أني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير" الأنبياء والخطايا، قصص بالغة الهبوط قلت في كتاب لي إن الأنبياء هم القادة الحقيقيون للتفكير الإنساني، والقادة المؤثرون للسلوك الإنساني! العقل يصيب ويخطئ، والقدم تنزل وتهبس، لكن جمهور الأنبياء مأمون الفكر مبارك الخطى! ومعنى ذلك أنه يستحيل على أحدهم أن ينكر الله أو يشرك به، كما يستحيل على أحدهم أن يكون عديم المروءة خؤونا لئاما.. المرتقب من الأنبياء ليس فقط بعد عن هذه الدنيا، فقد يتاح هذا بعد لكثيرين من الكلمة المؤذبين، المفترض فيهم أنهم نماذج عالية للعبودية الخالصة، فهم في شروق دائم من الحس بالوجود الإلهي، وهم في أوج رفيع من المروءة والإيثار، والعدل والفضل. ولو كان سكان الأرض ملائكة لاختار الله أشرف الملائكة وأعلاهم قدرًا ليكونوا سفراءه إلى خلقه،

لكن سكان الأرض بشر، ولن يصلح لقيادتهم إلا واحد منهم، يعاني ما يعانون، ويشعر بالجوع والمرض وأحزان الموت وتکاليف الحياة، وأعباء التسامي، ومجاهدة النفس. حتى لو كان الأنبياء معصومين، فإن العصمة لا تمنع المحن، إلا أن الأشغال الشاقة التي يحكم بها على لص، غير السهر والكافح والآلام الرفيعة المكتوبة على طلاب المجد. وقد طالعت سير المسلمين خصوصاً أميرهم المرموق محمدًا عليه الصلاة والسلام، فوجدتهم جميعاً شركاء في المعالي، محفوفين برضوان الله وتوفيقه، وقد تكون لأحدهم عشرة تناسب حياته، إن القمر ساعة يخسف لا يتحول إلى حجر في الطريق، ويونس عندما تبرم بالآلام الدعوة فابتلعه الحوت كان نموذجاً

لعبد فنى فى رجاء ربه: "فنادى في الظلمات ألا أنت سبحانك إني كنت من الطالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نجى المؤمنين" ولقد قرأت صورا لحياة الأنبياء في التوراة، فوجدت نماذج غريبة للسقوط والدنس تتقرّز منها النفس، وتتساءل بعد مشاهدتها: هل يلام الرعاع بعد ذلك على رذيلة؟ إن كاتب هذه التواريـخ تعمـد أن يلوـث حـيـاة هؤـلـاء الرـجـالـ، وأن يـلطـخـها بـالـأـوـحـالـ، وـنـذـكـرـ هـنـاـ بـعـضـ هـذـهـ المـخـازـىـ أوـ المـآـسـىـ مـقـارـنـةـ بـمـاـ يـقـابـلـهـاـ مـنـ حـدـيـثـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ عـنـ الـقـوـمـ. نـوـحـ فـيـ التـوـرـاـةـ رـجـلـ سـكـيرـ تـذـهـبـ الـخـمـرـ بـعـقـلـهـ فـيـنـطـرـحـ عـلـىـ الـأـرـضـ مـكـشـوـفـ الـعـورـةـ مـثـيـراـ لـلـضـحـكـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ نـجـدـ نـوـحـاـ يـعـلـمـ قـوـمـهـ كـيـفـ يـعـظـمـوـنـ رـبـهـمـ، وـيـفـتـحـ عـقـولـهـمـ عـلـىـ مـشـاهـدـ الـقـدـرـةـ فـيـ الـكـوـنـ: "أـلـمـ تـرـوـاـ كـيـفـ خـلـقـ اللهـ سـبـعـ سـمـاـوـاتـ طـبـاقـاـ وـجـعـلـ الـقـمـرـ فـيـهـنـ نـوـرـاـ وـجـعـلـ الشـمـسـ سـرـاجـاـ وـالـلهـ أـنـبـتـكـمـ مـنـ الـأـرـضـ نـبـاتـاـ ثـمـ يـعـيـدـكـمـ فـيـهـاـ وـيـخـرـجـكـمـ إـخـرـاجـاـ" وـبـعـدـ هـذـهـ الإـثـارـةـ الـعـقـلـيةـ يـرـفـضـ نـوـحـ التـفاـوتـ الـاجـتمـاعـيـ فـيـ قـوـمـهـ، وـنـظـامـ الـطـبـقـاتـ، وـيـرـفـضـ اـقـتـرـاحـ الـأـغـنـيـاءـ عـلـيـهـ أـنـ يـطـرـدـ الـفـقـرـاءـ مـنـ حـولـهـ حـتـىـ يـسـتـطـيـعـوـاـ الـاجـتمـاعـ بـهـ، وـيـصـيـحـ: "...وـمـاـ أـنـاـ بـطـارـدـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ إـنـهـمـ مـلـاقـوـ رـبـهـمـ وـلـكـنـيـ أـرـاـكـمـ قـوـمـاـ تـجـهـلـوـنـ وـيـاـ قـوـمـ مـنـ يـنـصـرـنـيـ مـنـ اللهـ إـنـ طـرـدـهـمـ أـفـلـاـ تـذـكـرـوـنـ" هـذـاـ النـبـىـ الـجـادـ الـوـقـوـرـ الـمـسـتـعـلـىـ عـلـىـ الـخـرـافـاتـ السـائـدـةـ، يـصـوـرـهـ الـعـهـدـ الـقـدـيمـ، وـهـوـ كـمـاـ يـقـولـ عـوـامـ مـصـرـ "سـكـرـانـ باـشاـ طـيـنةـ": ` وـابـتـدـأـ نـوـحـ يـكـونـ فـلـاحـاـ وـغـرـسـ كـرـماـ، وـشـرـبـ مـنـ الـخـمـرـ فـسـكـرـ وـتـعـرـىـ دـاـخـلـ خـبـائـهـ،

فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه، وأخبر أخويه خارجا، فأخذ سام ويافت الرداء ووضعاه على أكتافهما، ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما وجهاهما إلى الوراء، فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمرة علم ما فعل به ابنه الصغير فقال: ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لأخوه، وقال: مبارك الرب إله سام، ول يكن كنعان عبدا لهم كما جاء في الإصلاح التاسع من سفر التكوين، وأظن كاتب هذه القصة أراد إهانة الكنعانيين، وهم سلالة عربية سكنت الشام، وعمرت فلسطين قبل اليهود فانتقل هذه الحكاية، ونقطع بأنه لا أصل لها. بين يدي قصة نوح في التوراة، عبارات يقرؤها المرء ويهز رأسه كثيرا، منها ما جاء في بداية الإصلاح السادس: "ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه، فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته، الإنسان مع بئائم ودبابات وطيور السماء لأنني حزنت لأنني عملتهم، وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب". إنك تلحظ في هذا السرد أن الخالق جل وعلى فوجئ بما لم يكن في الحسبان، ومن أجل ذلك تالم لأنه خلق أبناء آدم فقرر الخلاص منهم، وهما ذا قد أغرقهم بالطوفان ونجى نبيه نوح، فماذا يصنع نوح لمرضاة الله: "بني نوح مذبحا للرب، وأخذ من كل البئائم الطاهرة، ومن كل الطيور الطاهرة، وأصعد محركات على المذبح، فتنسم الرب رائحة الرضا، وقال الرب في قلبه: لا أعود أعن الأرض أيضا من أجل الإنسان، لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته، ولا أعود أيضا أميته كل حى كما فعلت". يظهر أن رائحة الشواء لها سحر عند كاتب التوراة، لقد تصور أن الله لما شم رائحتها رضى عنمن تقرب بها، وعاد عن حكمه على الإنسان أنه شرير منذ حداثته، وكاتب التوراة يذكر أن الله ندم على إغراق الأرض بالطوفان، وحتى لا يقع في هذا الخطأ مرة أخرى صنع قوس قزح، لتذكرة القوس الملونة بأن يمسك المطر فلا يطفى على النادر.

إنه يجهل، ويتردد، ويندم ويفرط في حالي الرضا والغضب على سواء. أى حديث هذا؟ شأن الألوهية أعلى وأجل ! إن نوحا عبد صالح، بلغ الرسالة بعزم حديد وصبر طوي!، فلما يئس من صلاح قومه دعا الله عليهم فاستجيب له: "ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين" وقد ذكر نبينا نوحا في حديث من الرقائق نحب أن نثبته، "روى النسائي عن سليمان بن يسار عن أحد الأنصار أن النبي قال: "قال نوح لابنه: إنى موصيك بوصية وقارصها، لکى لا تنساها: أوصيك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين، أما اللتان أوصيك بهما فيستبشر الله بهما وصالح خلقه، وهما يكثران الولوج على الله، أوصيك بلا إله إلا الله، فإن السماوات والأرض لو كانتا حلقة قصمتهمما، ولو كانتا في كفة وزنتهما. وأوصيك بسبحان الله وبحمده، فإنهما صلاة الخلق، وبهما يرزق الخلق: "... وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفهمن تسبيحهم إنه كان حليما غفورا" وأما اللتان أنهاك عنهما فيحتجب الله عنهما وصالح خلقه: أنهاك عن الشرك، والكبر". أكان نوح وهو يعظ ابنه يعرف أمراضه النفسية؟ إن العناد والكبر حملاه على نسيان الله ومعصية أبيه فطوطه الأمواج وكان من الهالكين. وللحظ أن طوفان التوراة طغى على الأرض كلها، لم يترك منها شبرا، وأغرق الإنسان والحيوان والنبات في القارات الخمس. وهذا تصرف مستحيل على الله، فما ذنب الأبرياء الذين لم يرسل إليهم نوح؟ إن نوحا مرسلا إلى قومه خاصة، وهم شمالي العراق تقريبا.

والطوفان الذي طم وأهلك المجرمين كان محليا عوقب به العصاة وحدهم ولا صلة للهند، ولا لواي النيل به، فضلا عن أوروبا والأمريكتين !! "لوط" هو ابن أخي إبراهيم الخليل، كان مثل عميه داعيا إلى الله في بيئات سيئة، تمرد فيها بعمق اليقين، وطهارة الذيل، وشرف السيرة. وكانت المدينة التي يجاهد فيها سافلة الطباع، شاع فيها الشذوذ، واستعلن في الأندية، وكأنما أصبحت اللواطة تقليدا ينساق إليه الغريب والقريب !! وقال لوط لقومه: "... إني لعملكم من القالين رب نجني وأهلي مما يعملون" فنجاه الله من القرية الظالمة، وأمر بإهلاك أهلها.. وجعل عاليها سافلها. والسياق التوراتي يشبه السياق القرآني في أغلب الحوادث. إلا في خبر من أفحش الأخبار، انفردت به التوراة، فزعمت أن لوطا سكر وانتشى وضاجع ابنته بعد الأخرى، وأنجب من كل بنت ولدا كان رأسا لقبيلة كبيرة!! وتزعم

التوراة أن ذلك تم ولوط تحت وطأة الخمر لا يدرى ما يصنع. والسبب فيما تواتأت عليه البتتان، أنها يریدان نسلا من أبيهما، تحيا به الذرية، ولا يوجد رجال ! كيف لا يوجد رجال على ظهر الأرض؟ هل إذا دمرت القرية الفاجرة خلت الدنيا من القرى الأخرى الطاهرة؟ أما كان المفروض في أسرة لوط أن ترحل إلى مكان آخر تجد فيه بغيتها؟ إن التوراة آثرت أن تختتم جهاد لوط بهذا الختام الأسود القبيح، والقصة كما روتها: " صعد لوط من صوغر، وسكن في الجبل، وابنته معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر، فسكن في المغاردة هو وابنته، وقالت البكر

للصغيرة: أبونا قد شاخ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هلم نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه، فنجيى من أبينا نسلا، فسقطا أباهما خمرا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامتها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني قد اضطجعت البارحة مع أبي. نسقيه خمرا الليلة أيضا، فادخلت اضطجعى معه، فنجيى من أبينا نسلا، فسقطا أباهما خمرا في تلك الليلة أيضا، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامتها، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم، والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمى، وهو أبو بنى عمون إلى اليوم". وكاتب هذه القصة يريد الإساءة إلى قبيلتين كبيرتين، يكرههما بنو إسرائيل ويبحثون عن عيوب تلصق بهما، وتنكس رءوسهما.. فافتروا هذا السباب الشنيع على لوط وابنته، كما فعلوا من قبل مع أعدائهم الكنعانيين. على أساس أن أولاد الزنا ملعونون، لا تكون لهم سيادة ولا يلون سلطة!. ومع معرفتنا بأن هذا الزعم فاسد، وأن ولد الزنا لا يؤخره جرم أبيه، فنحن نكذب الخبر كله من ألفه إلى يائه. فما سكر لوط ولا زنى، ولا الحق عارا بابنته، والويل يوم القيامة لمسطر هذه الأكاذيب. ويدركنا العجب عندما يتحول الكذب إلى خليفة تجر على صاحبها نفسه المعرة، فإن بنى إسرائيل عندما يكتبون تاريخ أبيهم يعقوب، لا ينسون أنه من الشطار الذين يختطفون ما تهفو نفوسهم إليه، ولذلك فقد اختطف النبوة من أخيه الأكبر، ودخل التاريخ من باب الزور ! إن صور التزوير والادعاء تلقانا كثيرا في هذه الحياة، ومن أمد قريب قرأت أن طبيبا مزيقا بلغت الجراءة به أن شارك لفيقا من الأطباء في إجراء جراحة لأحد المرضى. وبعض كتبة المحامين يرون أنفسهم أقدر من المحامين على الدفاع

والاستدلال. وقد رأيت من واتته الظروف فسرق مناصب كبيرة، وجلس في سدتها بادي القدرة والأبهة! إنني أفهم أن تسرق بضاعة من دكان، أو سيارة من حارة، أو فكرة من مؤلف، أو كتاب من واسعه ! ولكنني لا أفهم أبداً أن تسرق النبوة وأن يترشح السارق بعد الاستحواذ عليها لتلقى الوحي، وقيادة الناس باسم الله! ولكن العهد القديم حكى لنا هذه الواقعه! وقرر أن يعقوب خدع أباه إسحاق، واستلب النبوة التي هي حق أخيه الأكبر عيسو ! كان إسحاق قد عمى! وفي اليوم الذي قرر منح بركات النبوة لصاحبها عيسو، جاء يعقوب على عجل، وقلد صوت أخيه، ولبس جلد معز . لأن عيسو كان أشعر . واقترب من أبيه الأعمى، وهو يتظاهر بأنه عيسو نفسه ! وانخدع إسحاق، وسرق يعقوب النبوة، وعرف عيسو بعد فوات الأوان، أن أخيه استولى على حقه، ولكن الرواية كانت انتهت والجريمة وقعت، وأضحى يعقوب نبيا عن طريق الاحتيال، ثم نال لقب إسرائيل، ثم قامت باسمه دولة تؤكد أن الباطل قوة إذا استعان بالمكر والدهاء، وأن الحق ضعف إذ لزم السذاجة والاسترسال. كيف تسرق النبوة؟!! إن اللص يخدع الناس، فكيف يتصور لص أنه يخدع الله؟ وهل العبد يعرض نفسه على ربها بهذا الأسلوب؟ وهل ينتظر رضاه وهو يخدعه بهذه الطفولة؟ إن تصوير العبودية والريوبية على هذا النحو نوع من الخبر الدينى، برع فيه اليهود، وصدقه من ظن الدين غيبيات مبهمة لا صلة لها بعقل ولا عدل. ان كتاب العهد القديم مثال صادق لفكرة اليهود عن الأخلاق والقيم. والناس يتهمون السياسي الإيطالي "ميكيافيللى" بأنه صاحب مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة" وهذا خطأ، فالرجل ينقل كلمته عن أسلوب العهد القديم، في تنفيذ الأغراض بأى خطة، وأقصر طريق.. أما الشرف فشىء في الكتب لا في الواقع.. مع هذا السياق الخسيس تقرأ ما افتراه اليهود على داود، أنه اغتصب امرأة أحبه جمالها. وبعد ما أتم جريمته احتال على قتل زوجها . وكان في ميدان الحرب . حتى تخلص له ! وزين له هذا كله أنه إسرائيلي، وأن الأسرة التي مزق أحشاءها من الحيثيين، فلا حقوق لها.. إن بني إسرائيل إذا شاءوا فلا يجوز لجنس آخر أن يعترض مشيئتهم: "...ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون" إن أحقر حشاش لا يقترب الجريمة التي نسبها اليهود إلى داود، صاحب المزامير التي يعبدون الله بغنائهما وتلحينها. ونحن المسلمين لا نصدق حرفا من هذا الإفك، ونصون سيرة الأنبياء عن هذا الدين كله، ولكننا نلتفت النظر إلى طبيعة المنهج الأخلاقي عند القوم ومن يؤيدتهم،

ويشد أزرهم، ويحمى ظهرهم، ويدعم سياستهم. وفي العهد القديم تفصيل ما أوجزنا، وما نسبه الرواية إلى المرسلين من إفك خسيس. إنهم جمِيعاً كذبة على الله ورسله، وما أحسب عيسى عندما ينزل إلا مقاتل هؤلاء جميعاً حتى يظهر الأرض من شركهم وإفكهم. إنهم يتظاهرون ضد الإسلام يحاولون إزالته. ولو زال الإسلام وخلت الحياة منه، فماذا يبقى مما يشرف الدين وتزكي به الدنيا؟ ماذا يبقى بعد زوال العقل والعدل؟ يبقى منهج إسرائيل في الاختطاف؟ ومنهاج داود في الإسفاف؟ كما يتوارث الأفاسن!! فياموت زر، إن الحياة دمية ويا نفس جدى، إن دهرك هايل لم ينج إبراهيم من رشاش التهم المتطايرة على عباد الله الصالحين، برغم مكانته الفريدة، فقد أظهره العهد القديم شخصاً حريضاً على الحياة، هياباً للموت، في وقت يدافع فيه الأحرار عن شرفهم بالدم الغالي ! كان إبراهيم يصحب امرأته "سارة" في تجواله لنشر الدعوة في الأرضين القريبة منه أو البعيدة عنه.. قالوا: وكانت "سارة" ذات منصب وجمال. فاقترب يوماً من بلاد "أبي الملك" وهو حاكم مرهوب في منطقته، ورأى الجواسيس المرأة الجميلة، فرأوا إهداها إلى حاكمهم. وشعر إبراهيم بالخطر، لا على امرأته. بل على حياته، فقال لزوجته إذا سألك عنى فقولي: إنني أخوك، فإنهم إذا شعروا بأنني زوجك قتلوني لينفردوا بك. وقد حفظ الله المرأة من الاغتصاب بمعجزة، وعادت إلى زوجها الذي أهديت له حمال وجديان وحمر وأشياء أخرى. والغريب أن الحادثة تكررت مع فرعون مصر الذي كاد يفسق بالمرأة لولا صون الله لها. وكان موقف إبراهيم في كل مرة: اكتفى أنني زوجك، وقولي: إنني أخوك، حتى لا يصيبني ضرر ! لهذا موقف رجالات الله؟ فأين الشجاعة والغيرة والاعتراض بالله؟ وما قيمة الإبل والمعز التي سيقت إليه بعد ذلك. وندع إبراهيم إلى حفيده يهودا، فقد ذهب إلى بلد ليخر صوف غنمها، وعلمت امرأة ابنه المتوفى بهذه الرحلة، فخلعت ثياب ترملها - كما يحكى سفر التكوين - وتغطت بيرقع، وجلست في مدخل البلد. فنظرها يهودا وحسبها من المومسات، لأنها كانت مغطاة الوجه، فمال إليها على الطريق، وقال هاتي أدخل عليك، لأنه لا يعلم أنها كنته - امرأة ابنه. قالت: ماذا تعطيني لتدخل على؟ قالت: أرسل إليك جدياً من غنمك! قالت: هل تعطيني رهنا حتى ترسله؟ قال: ما الرهن الذي أعطيك؟ قالت: خاتمك، وعصابتك، وعصاك التي في يدك! فأعطها، ودخل عليها، فحبلت منه، ثم عادت إلى بيتها ! وظهر الحبل على ثamar بعد ثلاثة شهور، وأخبر بذلك "النبي يهودا"

فأمر بإخراجها لتحرق.. إنها تحرق، أما هو فنبى قبل يداه وقدماه!! فلما اقتيدت المرأة لينفذ فيها الحكم، استدعت يهودا، وأظهرت له العصا والخاتم والعصابة قائلة له: ألسن الرجل الذى فعل ذلك؟ فشعر يهودا بأنه أخطأ ! فيم أخطأ؟ في عدم تنفيذه للشريعة اليهودية التي تقضى بأن الزوج إذا توفي وجب أن يتقدم أخوه إلى الأرملة! ليتزوجها، ويستولدها ابنا ينسب إلى أخيه الميت، لا إليه هو.. هذا هو خطأه.. والغريب أن هذا النبى الزانى رزق من امرأة ابنه بولدين ! إن دسائس الغريرة الجنسية فى بيت إسرائيل، ومع عدد من النبيين جديرة بالدراسة، وهى تدل على بيئه لم يرتفع بها الوحي قيد أنملة، بل هى إلى الحيوانات أقرب!! وهذه قصة أخرى "لدينة" ابنة النبي يعقوب الملقب بإسرائيل، فقد خرجت لنزهة ترى أتراها من بنات الأرض، فرأها "شكيم بن حمور" رئيس الأرض . وأخذها واضطجع معها - هكذا على طريق المفاجأة والاقتدار - يقول سفر التكوين: تعلقت نفسه بالفتاة فأحبها ولاطها، وطلب من أبيه أن يتزوجها!! وعرف يعقوب أن الفتى نجس ابنته دينة، وشعر إخواتها بعد عودتهم من الحقل بما حدث، فاغتاظوا كل الغيط، فماذا يصنعون وقد جاءهم أبو الفتى يطلب البنت زوجة لابنه؟؟

أيردونه؟ لقد ضم - مع هذا الطلب - عقد صلح شامل مع أسرة يعقوب، يعيشان بمقتضاه فى وطن مشترك، ويتبادلان المصالح، ويتزوج كلا الفريقين من بنات الفريق الآخر، وينشأ فى المنطقة عهد جديد من الوئام. وتدبّر أبناء يعقوب أمرهم، ثم رأوا أن يقوموا بخدعية المفاوض الطيب، فتظاهرّوا بقبول الصلح، وذهبّت فتاتهـم إلى العشيق الذى صار زوجا، بيد أنهم قالوا لحميـهم: إن شريعتنا توجب الختان، ولا يجوز أن نزوجكم بناتنا وأنتم غير مختونين، فلا بد من أن تختتنوا!! وقبل أبو شكيم هذا الاقتراح، وصاح فى أهل المدينة يطلب منهم جميعا الختان إنفاذـا لـعـهدـ الـصلـح.. فاختـنـ كلـ ذـكـرـ والـختـانـ جـراـحةـ فىـ عـضـوـ حـسـاسـ، وـحـرـكـةـ الرـجـلـ

المختون ضعيفة، وانتهز بنو إسرائيل الفرصة، قال سفر التكوين - الإصلاح الرابع و الثلاثون: "فـحدـثـ فـىـ الـيـوـمـ الثـالـثـ إـذـ كـانـواـ متـوـجـعـينـ أـنـ اـبـنـىـ يـعـقوـبـ: شـمـعـونـ، وـلـاوـىـ، أـخـوـيـ دـيـنـةـ أـخـذـ كلـ وـاحـدـ سـيـفـهـ، وـأـتـيـاـ عـلـىـ الـمـدـيـنـةـ بـأـمـنـ وـقـتـلـاـ كـلـ ذـكـرـ وـقـتـلـاـ حـمـورـ وـشـكـيمـ اـبـنـهـ بـحـدـ السـيفـ، وـأـخـذـ دـيـنـةـ مـنـ بـيـتـ شـكـيمـ وـخـرـجاـ، ثـمـ أـتـيـ بـنـوـ يـعـقوـبـ عـلـىـ القـتـلـىـ وـنـهـبـواـ الـمـدـيـنـةـ، لـأـنـهـ

نجـسـواـ أـخـتـهـمـ، غـنـمـهـمـ وـبـقـرـهـمـ وـحـمـيرـهـمـ، وـكـلـ مـاـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ وـمـاـ فـيـ الـحـقـلـ أـخـذـوهـ، وـسـبـواـ وـنـهـبـواـ كـلـ ثـرـوـتـهـمـ، وـكـلـ أـطـفـالـهـمـ وـنـسـائـهـمـ، وـكـلـ مـاـ فـيـ الـبـيـوتـ. فـقـالـ يـعـقوـبـ لـشـمـعـونـ وـلـاوـىـ

: كدرتمنى بتكريره كما إياى عند سكان الأرض الكنعانيين والفرزيين، وأنا نفر قليل، فيجتمعون على ويضربوننى، فأبىد أنا وبيتى، فقالا: أنظير زانية يفعل بأختنا". وهذه قصة جديرة بالتأمل. وهذا سلوك الأسباط حملة الوحى الإلهى؟ حرب إبادة من أجل قضية محدودة.. إن هذا الغدر له دلالة عميقة، وهذا الفتى له دلالة أعمق، والمفروض فى الأنبياء أنهم أولاً وآخراً دعاة إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، فأين هذا الإيمان..؟. وأين موضعه عند بنى إسرائيل أو عند خصومهم؟.

إنك لا تجد دينا يعصم من العصيان، ولا تجد أبوة تحمى من الإسفاف، المسلك كله لعصابة من القتلة، لا يذكرون الله إلا قليلا.

فى الجاهلية العربية ظفر أعرابى بخصم له، يعرف عداوته ولا يعرف وحمه، فقال له: إن دللتنى على عدى - خصمه الذى يطارده - فأنت حر، فقال الرجل مستوثقا: إذا دللتك عليه فأنا حر؟ قال: نعم. قال: فأنا عدى، ففك الرجل وثاقه وهو يقول متوجعا لهف نفسى على عدى! ولم أعرف عديا إذا أمكنتني اليدان.

ذاك أن العرب فى جاهليتهم كانوا يرون الوفاء قرين الشرف، ويرون الخيانة قرينة العار ! أما بنو إسرائيل فقد رأيت فعالهم، إن الغدر شيمتهم حتى قال القرآن فيهم: "إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقوون"

إذا كان الشيء بالشيء يذكر فإنى أتعجب لنبى مثل يهوذا تساوره الشهوة فيقع على أول امرأة يلقاها. تذكرت قصة عبد الله بن عبد المطلب - وكان وسيما ماضيا الوجه - فراودته امرأة عن نفسه، فنظر إليها ثم قال:

أما الحرام فالممات دونه! والحل؟ لا حل فأستبينه!

فكيف بالأمر الذى تبغينه؟ يحمى الشريف عرضه ودينه

إن هذه الحكايات التى تشييع فى العهد القديم، تجعله كتابا يخرج الناس من النور إلى الظلمات، ويجرئهم على اقتراف المعاصي دون محاذرة، ما دام الأنبياء وهم خلاصة البشر يوازعونها بهذا النزق، وينحدرون إليها بتلك السرعة !!

إسفاف في الحديث عن الله ورسله الحديث عن الله بخشوع وأدب سمة ثابتة في القرآن الكريم، لا تقاد تخلو صفة من تردید اسم أو اسمين من أسماء الله الحسنى. وبعد أغلب القصص، أو بعد جملة أحكام ترى آيات تتحدث عن مجد الله وعظمته، تلمح في سياقها أن الشروق يشع خلال السطور، فتتمثل رقة ومهابة بين يدي الكبير المتعال، وتحسن الانتفاع من التاريخ المحكى، وتحسن التنفيذ للأحكام المطلوبة. أما في الكتاب المقدس فتشعر بأنَّ الرب شخص عادٍ حيناً، أو رجل جبار حيناً آخر، وتأمل في هذه الأوصاف المنسوبة إلى الله. جاء في سفر التكوين: "فنزلَ الرَّبُّ يَنْظُرُ الْمَدِينَةَ وَالْبَرِّ الَّذِينَ كَانُوا بْنَوَ آدَمَ يَنْوَهُمَا" أما كان يستطيع رؤيتهم وهو على عرشه؟ حتى هبط إلى الأرض. وفي سفر الخروج، عندما طلب موسى أن يرى الله، قال الله له: "... ثم أرفع يدي فتنظر ورائي، وأما وجهي فلا يرى"!! يقول أحمد ديدات: لأنَّ موسى يستطيع رؤية أعضاء الله الخلفية!! قارن بين هذا وبين عبارة القرآن الكريم: "...لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلَّ ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك...." وفي المزامير وصف لله بأنه يشبه السكران "فاستيقظَ الرَّبُّ كَنَائِمَ حَبَارٌ مَعِيطٌ مِّنَ الْخَمْرِ".

وفي سفر التكوين "فندمَ الرَّبُّ لِأَنَّهُ عَمِلَ - خَلَقَ الْإِنْسَانَ - وَتَأْسِفُ فِي قَلْبِهِ...". وفي سفر العدد وصف لله غريب، يقول: "جَهَنَّمَ كَأْسَدًا!! رِيشُ كَلْبِهِ! مَنْ يَقِيمُهُ؟؟". وفي سفر الخروج "كان منظر مجد الله كنار آكلة على رأس جبل أمام عيون بنى إسرائيل". وفي سفر الخروج أيضاً "لأنَّه في ستة أيام صنعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ اسْتَرَاحَ وَتَنَفَّسَ". ويحدثنا القرآن الكريم كيف اختار الله موسى ليقاوم جبروت فرعون في الأرض وينقذ قومه بنى إسرائيل. كان موسى مع فرحته بالاختيار الإلهي، يشعر بأنَّ للمصريين ثأراً عنده، كما يشعر بأنه بكى لا يقدر على الإطناب وإطالة الأخذ والرد في مهمة تقضي ذلك. فانظر السياق القرآني في عرض هذه الحقائق: "إِذَا نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنَّ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فَرْعَوْنَ أَلَا يَتَقَوَّنُ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكْذِبُونَ وَيَضْيِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسَلَ إِلَى هَارُونَ وَلَهُمْ عَلَيْ ذَنْبِ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونَ" أما الكتاب المقدس فله عرض آخر، اختلفت الترجمم في بيانه، وتلمح في هذا العرض سوء أدب مع الله يستحق النظر العميق. وبعد ما طلب الله من موسى الذهاب إلى فرعون، كان لموسى موقف سيئ منه، وصفه

اللواء المهندس أحمد عبد الوهاب: "تقول فيه ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت: فقال موسى للرب: استمع أيها السيد: لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس، ولا من حين كلمت عبدي،

بل أنا ثقيل انفم واللسان. فقال له الرب: من صنع للإنسان فما؟.. أما هو أنا الرب؟ فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك، وأعلمك ما تتكلم به. فقال: استمع أيها السيد، أرسل بيدي من ترسل. فحمني غضب الرب على موسى - "خروج 4: 10-14" وتدذر ترجمة الكتاب المقدس للકاثوليک قولًا آخر غير هذا القول الجاف الذي ينسب لموسى: أي: استمع أيها السيد، جاء فيه. "قال موسى للرب: رحماك يارب، إنى لست أحسن الكلام. رحماك يارب: ابعث من أنت باعثه". وتقول ترجمة التوراة الكاثوليكية: "قال موسى للرب: العفو يارب، إنى لست رجل كلام.. قال: العفو يارب، أرسل من تريد أن ترسله". وتدذر الترجمة الإنجليزية أن لهجة موسى لم تكن جافة، حيث خلت من ذلك القول: استمع أيها السيد! وكذلك تقول الترجمة الفرنسية. إن ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت في حاجة إلى تصحيح.". والمأساة ليست في اختلاف الترجمات، إنما المأساة في الأصل نفسه! يرى أهل الكتاب أن التوراة أنزلها الله على موسى، وتعنى التوراة الآن الأسفار الخمسة الأولى في العهد القديم، والتي انتهت بموت موسى. فاقرأ هذه العبارات التي وردت في آخر سفر التثنية، وسل نفسك: هل نزل هذا الكلام على موسى أم هو على التحقيق كلام مؤرخ آخر يصف ممات موسى، ويذكر تاريخه للناس. "فمات هناك موسى عبد الرب، في أرض موآب، حسب قول الرب، ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم. وكان مولى ابن مائة وعشرين سنة حين مات، ولم تكل عينه، ولا ذهبت نضارته، فبكى بنو إسرائيل موسى في غربات موآب ثلاثة أيام، فكملت أيام بكاء مناحة موسى. ويشوع بن نون كان قد امتلاً روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو إسرائيل، وعملوا كما أوصى الرب موسى. ولم يقم بعدنبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعملها في أرض مصر بفرعون، وبجميع عبيده وكل أرضه، وفي كل الياب الشديدة، وكل المخاوف العظيمة التي صنعتها موسى أمام أعين جميع إسرائيل". هل هذا وحى الله النازل على موسى؟ ظاهر أنه كلام أحد المؤرخين. والحق يقال: إن أكثر ما ورد من حكايات وأحكام في التوراة، بل في

العهد القديم كله، هو حديث قصاص مجاهيل.. تقصهم الأمانة العلمية، والخبرة بحقائق الدين. ما أظن أحدا يماري في أن وصف موت موسى هو من صنع مؤرخ مجهول، من هو؟ لا ندري! وظاهر أن الأسفار كلها عملت فيها أقلام كثيرة، قد نجهل أصحابها، بيد أننا نحكم بأنهم لا يعرفون ما ينبغي لله من عظمة، ولا لرسله من توقير.. وإلا ما جاءت كتاباتهم على هذا النحو المستهجن! إن أهواه وأخطاء لا حصر لها تبرز للقارئ، ليست من قبيل حبات طين في كوم من القمح، لا، إنك تبحث عن حبات القمح وسط ركام من الترهات. وقد طالعت نشيد الإنشاد الذي لسليمان، واقتبس منه جملًا ضمنتها أحد كتبى، وتساءلت عن سر هذا السفر كله؟ إنه غزل تسمع صراخ الشهوة في ثناياه ونداء الرغبة المجنونة إلى الضم والتقبيل وأشياء أخرى! أذاك وحى نازل من السماء؟ أهذه قطعة من كتاب معصوم؟

إن امرأ القيس وأبا نواس لا يبلغان هذه الدرجة في لوعة الحب، وحرارة العشق، وإنك هذه السطور منه: "في الليل على فراشى طلبت من تحبه نفسى، طلبته فما وجدته، إنى أقوم وأاطوف في المدينة، في الأسواق، وفي الشوارع أطلب من تحبه نفسى. طلبته فما وجدته، وجدنى الحرس الطائف في المدينة، فقلت: أرأيت من تحبه نفسى؟ فما جاوزتهم إلا قليلا حتى وجدت من تحبه نفسى فأمسكته، ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمى وحجرة من حبتى. أحلفكن يا بنات أورشليم بالظاء، وبأيائل الحقول ألا توقعن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء. ها أنت جميلة يا حبيبي، عيناك حمامتان من تحت نقابك.. شفتاك كسلكة من القرمز، وفمك حلو، خدك كفلقة رمانة تحت نقابك، ثدياك كحشفة ظبية، كلك جميل، ليس فيك عيب، هلمنى معى من لبنان يا عروس معى من لبنان. قد سلبت قلبى يا أختى العروس، كم محبتك أطيب من الخمر، وكم رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياط. شفتاك يا عروس تقطران شهدا، تحت لسانك عسل ولبن، ورائحة ثيابك كرائحة لبنان ، ليأت حبيبي إلى جنته، ويأكل ثمرة النفيسي. كلوا أيها الأصحاب واشربوا واسكروا أيها الأحباء أنا نائمة وقلبي مستيقظ، وصوت حبيبي قارعا. افتحى يا أختى، يا حبيبي، يا حمامتى. وقد خلعت ثوبى فكيف ألبسه، وقد غسلت رجلى فكيف أوسخهما، حبيبي مد يده من الكوة فأنت عليه أحشائى حبيبي أبيض وأحمر.. قصصه مسترسلة حalkah كالغراب.. خداه كخمبلة الطيب، شفتاه سوسن.. يداه حلقتا ذهب بطء عاج أبيض مغلف بالياقوت الأزرق، ساقاه

عمود الرخام.. فتى كالإوزة، حلقة حلاوة، وكله مشتهيات. هذا حبيبي وخليلى يا بنات أورشليم".

أهذا هو الهدى المعصوم؟ والتسامى المنشود؟ والدين الحق؟. إن كاتب هذه الكلمات يحتاج إلى من يؤدبه ويوقظه من سكرة اللذة التى استولت عليه، ويعرفه كيف يؤمن بالله الواحد، وكيف يستعد للقاء بالعمل الصالح. ومع التأمل فى طول الكتاب وعرضه نجزم بأن أقلاما كثيرة فى عصور شتى، صنعت هذا النسيج المتباين، ونسبته إلى الله، بعدما عزلت العقل عن الإيمان، واستولت على إنسان طفل تسكب فى روعه ما تشاء.

نؤمن بالوحى كله.. ! قلت لصاحبى: لقد أرتيك سطورا مطولة من كتابك! لم أجئ بشيء من عندى ولعلك شعرت بمدى ما عندكم من بعد عن الصدق، وحراءة على الله ورسله، وأظننك بعد ذلك سوف توافق على النتائج المحتملة لهذا الاستعراض الواسع! قال: وقد خامرته حيرة ودهشة: إن ما وصفت به كتابى يرتد إلى كتابك كذلك ويرفع الثقة به!! لأنك تقرأ فيه ثناء على التوراة والإنجيل فكيف! يكونان كما ذكرت مع الثناء عليهمما والدعوة إلى التزامهما؟؟ قلت: يا صاحبى، لا تخلط بين التوراة النازلة على موسى، والإنجيل النازل على عيسى، وبين ما لديكم من دخل ظاهر، لا يمت بصلة إلى وحى فى أكثر ما جاء به. نحن المسلمين نؤمن بموسى وتوراته، وعيسى وإنجيله، وفي القرآن الكريم يقول الله تعالى: "إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا" كما يقول: "وَقَفِينَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مُرِيمَ مَصْدِقاً لِمَا بَيْنَ يَدِيهِ مِنَ التُّورَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ" ولا يوجد مسلم يكفر بتوراة موسى أو بإنجيل عيسى، لكن أين هما؟ هل لتوراة المحدثة عن رب يجعل ويندم ويعبث فيها هدى ونور؟

هل الإنجيل الذى لا توجد منه نسخة منسوبة إلى عيسى نفسه يمكن الأخذ عنه؟ إن ما لديكم صحف مشحونة بحكايات كثيرة، تنسب إلى الله ورسله مala يليق، وما لا يقبله العقل المجرد، نعم ربما لمعت وسط ترابها بقايا وحى، أما الركام السائد فهو - كما سردت عليك - مبتوت الصلة بالسماء. وقبل أن أتحدث عن أسانيد هذه المرويات، أنظر إلى المتون نفسها بما آتاني الله من فكر. فإذا كان المتن مستحيل التصديق فكيف أقبله؟ هب أن يعقوب روى عن أبيه إسحاق عن أبيه إبراهيم أن الجزء أكبر من الكل، أو أن الله تناول الطعام مع إبراهيم، أو صارع يعقوب في حلبة طلت دائرة الرحى طول الليل.. هل يطلب إلى عاقل أن أصدق هذه

الترهات لأن الرواية ثقات؟!! أى ثقة في هذه المنشولات المحالة؟ إن الكذبة لا يصعب عليهم اختلاق الأسانيد لما يقولون على الله بغير علم! لكن تعرف الفروق في الطرق التي وصلت بها الكتب السماوية يجب أن تدرس التاريخ ب بصيرة. إن القرآن النازل على محمد كان صاحب الرسالة يستمع إليه من أمين الوحي؛ ثم يستدعي الكتبة فيكتبون والحفظة فيحفظون.

كانت له شرائط مسجلة في الأدمغة، وسطور حافظة في الصحف. وفي كل يوم، بل في كل وقت من الصلوات الخمس صباحاً ومساءً كان القرآن يتلى، وكان دوى الحفظة لا ينقطع، وكانت الصحف تنشر في كل مكان، وكانت الجمع تجود القرآن تجويداً، وكان قوام الليل يملؤون محاربيهم به! وتحول القرآن من كتاب شعبي متداول، إلى دستور للحكم تحكم به دولة حكمت حزيرة العرب أولاً، ثم حكمت الشرق الوثني والغرب المسيحي في القارات المعروفة. مصحف واحد لا اختلاف فيه ولا خلاف عليه، على امتداد الزمان والمكان. ما رزق كتاب من الكتب حفظة تتلوه عن ظهر قلب إلا هذا الكتاب، من يوم بدأ نزوله حتى هذه الساعة ! فإذا تناول أحد نسخة من المصحف ليطالع وجد قرآنا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ليست فيه لفظة تشين ذا الجلال والإكرام، هدير لا ينقطع بعظمة الله، وعلوه فوق خلقه أجمعين، واحد تعنو له الوجوه، وتسبح بحمده الأشياء، وتقترب إليه الملائكة ويقف المرسلون أمامه خاضعين خاشعين. في كتاب محمد، لا ذكر لمحمد إلا أنه عبد من عباد الله، إن زاد قدراً على أحد فبقدر ما يبطن في ضميره، ويبدو على سلوكه من خشية لله وتزلف إليه ورجاء فيه. الرسل كلهم، موسى أو عيسى أو محمد، وكل من سبقهم عبيد، لو شاء الجبار إبادتهم ما بقي منهم أحد، إنما يستبقيهم ويكرمههم بمحض رحمته. أين من هذا ما ترويه التوراة ؛ أن موسى زجر الله فازدجر، وتراجع وندم..؟؟ تعالى الله علواً كبيراً، وهاك النص، وهو شبيه بما سبق سرده من نصوص تسيل كلها من نبع آسن عفن... "فقال رب لموسى: اذهب إنزل لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر، زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتم به، صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً، وسجدوا له وذبحوا له، وقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، وقال رب لموسى رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة، فالآن اتركني ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم، فأصيرك شعباً عظيماً، فتضطرع موسى أمام رب الله، وقال: لماذا يارب يحمي غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة؟ لماذا يتكلم المصريون قائلين: أخرجهم

بخيت ليقتلهم في الجبال ويفنفهم عن وجه الأرض. ارجع عن حمو غضبك، واندم على الشر بشعبك، اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل، عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك، وقلت لهم: أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد. فندم الرب على الشر الذي قال

إنه يفعله بشعبه. فانصرف موسى ونزل من الجبل". إن أحدا في الأرض أو السماء لا يعامل الله بهذا الأسلوب النابي، إن الله أجل شأننا وأعلى قدرا من أن يغضب ثم يندم ويتراجع كأنه إنسان ثاب إلى رشده بعدما عزب عنه. وهذه المرويات كلها من صنع بشر يريدون إعزاز جنسهم بالأكاذيب، والاستعلاء على غيرهم بالباطل، وينو إسرائيل كبني إسماعيل كغيرهم من البشر، لا يرتفع أحدهم إلا بالتقوى والأدب. إن التوراة النازلة على موسى اختفت مع تقلب الزمان ببني إسرائيل، والذي بقى منها هو هذا الميراث المشوب الذي طغى فيه كلام البشر على الوحي الحق، وكادت تختفي فيه ذرات السكر داخل مسحوق من الصخر والتراب. أما الإنجيل فنسائل مخلصين: أين هو؟ إن الأنجليل الأربع الموجودة هي قصص كتبها تلامذة عيسى، تضمنت ما يقال إنه كان يدعو إليه ويسخر به. حسنا، فلنتنازل عن المطالبة بالإنجيل نفسه! ولنحاول البحث عن بقايا الحق فيما كتبه التلامذة المخلصون. إن عيسى وصحابه هم من بني إسرائيل، كانوا يتكلمون العربية بلهجة آرامية، والسؤال: أين ما كتبه هؤلاء الحواريون بلسانهم الأصلي؟ إن الأصل مفقود ! فما أسماء الذين ترجموا عنهم، ومدى الثقة فيهم؟ إنهم مجهملون! إن أى منصف، يحس بأنه أمام مواريث معضلة، التأمل في متونها يدعو إلى الرفض، والتأمل في أسانيدها يدعو إلى الرفض. فإذا ندعى - نحن المسلمين - الذين نقبل تسليط الأضواء كلها على كتابنا سندا ومتنا؟ إلام ندعى؟ إلى الأوهام!! هاتوا خيرا مما عندنا ونحن نتبعكم، وهيهات، فلا وجود لمستحيل !

ليس عيسى إليها الله رب العالمين، تنتظم ربوبيته عالم الجماد والنبات والحياء، خلق كل شيء ثم تعهد قيامه ونظامه وبقاءه، ونمائه وفناءه، لم يشركه في ذلك أحد!! وإذا كان سبحانه ممد كل شيء بوجوده، فكيف يكون شيء ما شريكا له؟ إنه البارئ المهيمن والأول والآخر والظاهر والباطن. في عالم الأحياء ليس هناك إله خلق المخاخ والأكباد، وآخر خلق الأيدي والأرجل، خالق الكل واحد ! في عالم النبات ليس هناك إله خلق الأشجار وآخر خلق الشمار، ليس هناك إله خلق الغابات وآخر خلق الحشائش "الله خالق كل شيء وهو على

كل شيء وكيل له مقاليد السماوات والأرض.... " في عالم الجماد ليس للأرض إله، وللزهرة إله آخر، إنه واحد، رصع السماء بنجومها، وأبدع فيها ضوءها، وهو في الوقت نفسه حاكم الخلايا في الأجسام، والكرات في الدماء، والمشاعر في القلوب، والخواطر في الأدمغة "أم جعلوا الله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار" ذكر الشيخ أحمد ديدات أنه ظهر في بلدتهم محام يشتغل بالتنصير، شرع يعلم المسلمين أن عيسى إله مع الله، وأن الإله الابن مساو لله ذاته، ومحايير له في الوقت نفسه، وتساءل الشيخ العلامة: كيف يكون إليها من استجمع كل خصائص البشرية في كيانه؟

وأخذ يحصى من الأنجليل فقرات كثيرة تشهد بهذه الخصائص البشرية، وتصرح بأن صاحبها إنسان عادى، فكيف يكون إليها من مر بهذه الأطوار كلها؟ وهاك مقتطفات مما نقله من كتب القوم: "مولد الإله خلق الإله من نسل داود" رومية 1:3 عن ابنه الذى صار من نسل داود من جهة الجسد! الإله من ثمرة صلب داود:- "أعمال الرسل 2:3" فإذا كان نبيا وعلم أن الله حلف له بقسم أنه من ثمرة صلبه، يقيم المسيح حسب الجسد؛ ليجلس على كرسيه". أسلاف الإله "متى 1:1" "كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم". جنس الإله "لوقا 2:21" "ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبى سمى يسوع" كيف حملت مريم بالإله وولدته؟ لقد حملته كأى امرأة أخرى "لوقا 2:6" "تمت أيامها لتلد" وهذا يعني أنها مرت بجميع مراحل الحمل الطبيعية، ولم تكن ولادتها تختلف عن أى امرأة تنتظر مولودها - رؤيا يوحنا 12:2 "وهي حبل تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد". "رضع الإله حلمتى امرأة" لوقا 11:27" وفيما هو يتكلم بهذا رفعت امرأة صوتها من الجمع وقالت له: طولى للبطن الذى حملك والثديين اللذين رضعتهما". الموطن الأصلى للإله "متى 2:1" "ولماذا ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودوس الملك". مهنة الإله "مرقس 6:3" "أليس هذا هو النجار ابن مريم" "متى 13:55" "أليس هذا ابن النجار". مواصلات الإله "متى 21:5" "هو ذا ملك يأتيك وديعا راكبا على أتان وجحش ابن أتان" "يوحنا 12:14" "ووجد يسوع جحشا فجلس عليه".

طعام ﴿إِلَهٌ وَّخَمْرٌ﴾ "متى 11:19، لوقا 7:34" "جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون هو إنسان أكول وشريب خمر، محب للعشاريين والخطاة". فقر ﴿إِلَهٌ﴾ "متى 8:20" "فقال له يسوع للثعالب أوجزة، ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه". ممتلكات ﴿إِلَهٌ الضئيلة﴾ "لوقا 3:16" "سيور حذائه" "يوحنا 19:23" "ثيابه... قميصه". ﴿إِلَهٌ يهودي ورع﴾ "مرقص 3:35" "وفي الصبح باكرا جدا قام وخرج ومضى إلى موضع خلاء، وكان يصلى هناك" ﴿إِلَهٌ تابع مخلص﴾: كان يسوع مواطننا صالح، وكان مخلصاً للقيصر، وقال: "متى 22:21" "أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله" "متى 17:24-27" وكان يدفع ضرائبه بانتظام. ﴿إِلَهٌ أبو يوسف﴾: "يوحنا 1:45" "فيليب وجد ثنتين، وقال له: وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع بن يوسف الذي من الناصرة". إخوة ﴿إِلَهٌ وأزواج أخواته﴾: "متى 13:54" "ولما جاء إلى وطنه كان يعلمهم في مجتمعهم حتى بهتوا وقالوا: من أين لهذا هذه الحكمة والقوات؟ أليس هذا ابن النجار؟ أليست أمه تدعى مريم؟ وإخوته يعقوب ويوسف وسمعان ويهوذاؤ؟ أوليس أخواته جميعهن عندنا؟ فمن أين لهذا هذه كلها؟".

تطور ﴿الإله﴾ التطور الروحي ﴿للإله﴾ "لوقا: 2: 40" "وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممتنعا حكمة". تطور ﴿الإله﴾ عقليا وجسديا وخلقيا: "لوقا 2: 52" "وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقاممة والنعمة عند الله والناس". كان عمر ﴿الإله﴾ اثنى عشر عاما عندما أخذه والداه إلى القدس : "لوقا 2: 41-42" "وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح، ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد". ﴿الإله﴾ العاجز: "يوحنا 5: 30" "قال يسوع: أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً" أ. هـ. "من هذه صفاته كيف يساوى الله؟" وأنتم عشر النصارى تزعمون أن عيسى قتل، فكيف يقتل الله؟ ومن قتله؟ أعبد مثله، أو إله آخر؟؟ إنها معركة طريفة تلك التي تقع بين الآلهة! والعجب العاجب أن يبقى الكون منتظما والده قد قتل وصلب..!! وهناك إله ثالث، موضعه غريب، ووظيفته مجهرة، ذاك المسمى بالروح القدس، ما عمله مع الإله الأب، والإله الابن؟. الواقع أن القصة كلها خيال محموم، فلا إله إلا الله ! "وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَخَذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبْرِهِ تَكْبِيرًا" وفق التصوير المسيحي للتاريخ كانت الأيام الأخيرة للمسيحيين مليئة بأسباب الفزع والضيق، وكانت السلطة الحاكمة بإيعاز من اليهود تطارد

"يسوع" وتبين قتله. وما نرتاب في أن جمهرة الحواريين كانوا مؤمنين صالحين، يحبون الله ورسوله منذ قالوا "ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين" غير أن نفرا منهم انخلع قلبه رعبا، وأعيته تكاليف الجهاد، ففر هاربا، وأنكر صلته بال المسيح مع أنه كان مشهورا بصحته!! واشتدت وطأة الحكومة على أتباع الدين المضطهد، ثم انتشرت شائعة بأن المعلم الطيب قتل وصلب، فانفضت جموع المؤمنين، لم يلو أحد على أحد. إننا نحن المسلمين نعرف ما حدث بدقة، ونؤكد أن كثرة من الموحدين بقيت صادقة مع الله ومع الناس، فهل كان النصارى كلهم على هذا الغرار؟ كلا، إن أصحاب الغلو موجودون في كل عصر ومصر، سرعان ما توهם البعض أن جبريل النازل بالوحى ليس إلا إلهها، وأن عيسى الذي اختفى هو ابن لإله الأرض والسماء. ثم ماذا؟ أين صحائف الإنجيل الذي كان عيسى يتلوه على الناس؟ ذهبت في حريق الاضطهاد، وأحسب أن من كانت لديه أثاره منها أخفاها حتى لا يموت. وانفسح الطريق لكتابات جديدة، لم تظهر إلا بعد عشرات السنين وربما لم تظهر إلا بعد مائة سنة أوزيد! لماذا؟ لأن كثيرين كانوا يعتقدون أن عيسى سوف يظهر كما اختفى، وأن أمد غيابه لن يطول، فلننتظر مجئه ليحدثنا بما كان. ويشرح ذلك اللواء المهندس أحمد عبد الوهاب فيقول: "لقد سيطرت على المسيحيين الأوائل فكرة، تناقلتها الألسن شفافها تعلن انتهاء هذا العالم سريعا، وعودة المسيح ثانية إلى الأرض ليدين الناس وكان من بين نتائج هذا المعتقد أن توقف التفكير في تأليف كتابات مسيحية؛ تسجل أخبار المسيح وتعاليمه - بعد اختفاء الإنجيل النازل على عيسى عليه السلام - فتأخر لذلك تأليف الأنجليل الأخرى؟ إذ لم يشرع في تأليف أقدمها، وهو إنجيل مرقس - ومرقس لم يكن قط من تلاميذ المسيح - إلا بعد بعض عشرات من السنين. لقد كانوا يؤمنون بنهاية العالم وعودة المسيح سريعا إلى الأرض: - قبل أن يكمل رسالته التبشير في مدن إسرائيل، وهي عملية لا تستغرق أكثر من عدة شهور، أو بعض سنين على أكثر تقدير. هؤلاء الإثنان عشرة أرسل لهم يسوع وأوصاهم قائلا: "إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الصالحة". الحق أقول لكم: لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان "المسيح" "متى 10: 23-5". وقبل أن يموت عدد من الذين وقفوا أمامه يستمعون إلى تعاليمه ومواعظه، وهي فترة يمكن تقاديرها دون خطأ يذكر في حدود

خمسين عاما على أقصى تقدير. إن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله. الحق أقول لكم: إن من القيام ههنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا في ملوكته "متى 16: 27 - 28" وهو يعود ثانية إلى الأرض قبل أن يفني ذلك الجيل الذي عاصر المسيح، وهي فترة لا تتجاوز أقصى ما قدرناه، أي خمسين عاما: "وفيما هو جالس على جبل الزيتون، تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين: قل لنا: متى يكون هذا؟ وما هي علامة مجئك وانقضاء الدهر؟ فأجاب يسوع وقال لهم: بعد ضيق تلك الأيام، تظلم الشمس، والقمر لا يعطى ضوئه، والنجمون تسقط من السماء، وقوات السماء تتزعزع؛ وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض، ويصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير.

الحق أقول لكم: لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله "متى 24: 3-24". ومعلوم أن ذلك كله لم يحدث، إذ لا يزال الكون قائما، وينو آدم يعيشون في عالمهم الدنيوي حتى يأتي أمر الله. هذا - ولما بردت الحمية التي أثارتها فكرة عودة المسيح سريعا إلى الأرض، ظهرت الحاجة ماسة إلى تدوين الذكريات عنه وعن تعاليمه، ومن هنا كانت النواة لتأليف أسفار - ما صار يعرف فيما بعد باسم - العهد الجديد، وهي الأسفار التي لم يعترف بشرعيتها إلا على مراحل، وعلى امتداد أكثر من ثلاثة قرون. خلال هذه القرون الثلاثة أو الأربع تم تأليف دين جديد؛ أصوله قائمة على التثليث والبقاء؛ لا تتفق مع أي دين سماوي سبق، بل هي في الحقيقة صلح ماكر مع الأديان الأرضية التي تقوم على تعدد الآلهة وتقديم القرابين. مع دعوى جريئة بأن التعدد لا ينافي الوحدانية "!"، وأن الصلب لا ينافي المسئولية الشخصية! ومع دعوى مصاحبة أن الإيمان مفصول عن العقل. وذاك سر الحرب التي نشبت فيما بعد بين الدين والعلم!! لقد اعتبر علماء الكون الذين ظهروا في أوروبا متأثرين بالمنهج الإسلامي المنتصر في الدنيا يومئذ، ولذلك استبيحت دمائهم بوحشية بالغة!!.

الوحى عند النصارى العلم كشاف الحقائق، وفي المنطق العلمي ضمان لبلوغ حقائق سليمة، وعلى من ارتاب في حقيقة ما أن يبين أسباب ربيته، وأن يجئ بالمقابل الذي يراه مدعاه طمأنينته. ونحن نحترم البرهان، وندعوه إلى احترامه، وننزل على حكمه. وهناك جملة من العقائد والأخلاق والمسالك وسير الحضارات، تقوم على حقائق مسلمة يكاد البشر يتلقون عليها، وهناك ما هو موضع خلاف وخصام وقتل. وإن الجماهير لأمر ما لا يعطيه

حَكْمًا بِالصَّحةِ، فَكُمْ يَأْلِفُ النَّاسَ أَخْطَاءً يَحْسِبُونَهَا حَقَائِقًا! وَكُمْ يَرْتَكِبُونَ خَطَايَا يَحْسِبُونَهَا فَضَائِلًا! "وَمَا يَتَبعُ أَكْثَرَهُمْ إِلَّا طَنَّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يَعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ" والدهماء تستريح لما ورثت، وكذلك أنصار المتعلمين، بل إنهم يسعدون بالمدى الذي بلغوه، ويشبههم في تلك الحال من يغالطون أنفسهم ويتخيرون فيخالون، كما يقول أبو الطيب: تصفو الحياة لجاهل أو غافل عما مضى منها وما يتوقع ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسموها طلب المحال فتقطعه وفي عالم المجنون حكوا أن جحا أراد صرف الغلمان الذين يتبعونه، فزعم لهم أن وليمة في بيت فلان ينبغي أن يذهبوا إليها.. فلما انصرفوا عنه صدق هو ما زعم، وتبعهم إلى حيث ذهبوا!! وفي عالم التدين رأيت ناساً يضمون تحت خيمة الغبيات أشياء من عند أنفسهم؛ يزعمونها ديناً وما هي بدين، ويخلطون الحقائق بالأهواء متذرعين

بأن ما وراء المادة لا يسبّر غوره، ولا يعرف له حدود. وفساد الأديان ينشأ غالباً عن هذه الجراءة في الأخلاق والإضافة، وما يقبل هذا رب العالمين الذي منح الناس عقولاً تميز الخبيث من الطيب، والدخيل من الأصيل. إن العقل الإنساني مناط التكليف، وهو ضابط محترم، وما يرفضه لا قيمة له، ولا يجوز الخلط بين ما يحكم العقل باستحالته، وبين ما يعجز عن اكتناهه أو كما يقولون: إن عدم العلم ليس علماً بالعدم!! وقد رأيت أنه باسم الدين تقبل فنون من الشعوذة والترهات، أو تقبل قضايا مشحونة بالمتناقضات العلمية والخلقية، لأنها - كما زعموا - جاءت من عند الله. كلا فالله لا يجيء من عنده إفك "وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا" إن الوحي أساس الدين بلا ريب، وعندما يلهم الله بشراً بجملة من المعانى فقد ألهمه جملة من الحقائق التي لا يرقى إليها باطل، ولهذا الإلهام طرقه المحصورة كما جاء في كتابنا "وما كان ليبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه على حكيم" وقد كلم الله موسى من وراء حجاب، وألهم إبراهيم ما يريد منه، وأرسل أمين الوحي إلى محمد فكلفه بما شاء. وطبعي أن الموحى إليه يعرف معرفة اليقين أن ما يجيئه هو من عند الله سبحانه، فلا حيرة ولا قلق ولا تردد، وعلامة الصدق تكمن في الوحي نفسه، فأى آفة به تصرفنا عن تصديقه: "... لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً" إذ يستحيل أن يوحى الله بالأكاذيب والترهات، كما يستحيل أن يقع بين الوحي والعقل خلاف، فلا فجوة البتة بين دين صحيح وعقل سليم.

هذا هو الوحي عندنا ، معارف سماوية يتلقاها عن ربها بشر كريم ، يتذمّرها أولو الألباب فيستريحون إليها ويؤمنون بها . فهل الوحي عند غيرنا كذلك ؟ الظاهر أن عددا من أهل الكتاب أعطى نفسه حق التفسير والتعليق ، أو حق الإنشاء والتوجيه ، واطمأن إلى صدق إيمانه عند نفسه ، ثم نسب ما جاء به إلى الله سبحانه ، على طريقة أنا كذبت له ، ولم أكذب عليه فلا مكان لللوم !! وقد سبق أن نقلنا لك من التوراة النازلة على موسى ، كيف مات موسى ، وكيف ناحت عليه نسوان بنى إسرائيل أربعين يوما ، وكيف دفن في قبر غير معروف .. الخ وظاهر لكل ذي لب أن هذا كلام مؤرخين ، ضموا ما ذكروه عن وفاة موسى إلى كتاب موسى نفسه ، فصار الأصل والضميمة كتابا واحدا . ونزيد الموضوع شرحا بنقل ما كتبه ونقله الشيخ أحمد ديدات في هذه القضية البالغة الخطورة : " يقول السيد و . جراهام سكروجى ، عضو معهد مودى للكتاب المقدس ، والذى يعتبر من أكبر علماء البروتستانت التبشيريين فى كتابه : " هل الكتاب المقدم كلام رب ؟ " ، تحت عنوان " كتاب من صنع البشر ولكنه سماوى " ص 17 : " نعم ، إن الكتاب المقدس من صنع البشر ، رغم أن البعض جهلا منهم قد أنكروا ذلك " . " إن هذه الكتب قد مررت من خلال أذهان البشر ، وكتبت بلغة البشر وبأقلامهم ، كما أنها تحمل صفات تتميز بأنها من أسلوب البشر " . ويقول عالم نصراني آخر واسع المعرفة ، وهو أسقف بيت المقدس ، السيد كينيث كraig فى كتابه " نداء المئذنة " . " وبعكس القرآن فإننا نجد أن العهد الجديد يحوى بعض التلخيص والتنقية ، هناك اختيار للألفاظ وتتجدد وشوأهـ ، إن كتب العهد الجديد قد جاءت من ذهن الكنيسة التى تقف وراء المؤلفين ، فهذه الكتب تمثل الخبرة والتاريخ " .

ورغم أن هذه الكلمات لا تحمل أي معنى آخر تحتاج معه لإضافة أو تعليق، لنثبت حجتنا، فإن هذا الداعية النصراني المحترف، حتى بعد أن يكشف نفسه، تكون لديه الجرأة على أن يقول: إنه قد أثبت إثباتا قاطعا بأن الكتاب المقدس هو "كلام رب المتعذر إنكاره" وإنه لشيء عجيب هذا التلاعب بالألفاظ والكلمات. فكلا العالمين يخبراننا بأوضح لغة بشرية ممكنة بأن الكتاب المقدس هو من صنع البشر، ثم هما بعد ذلك يزعمان أنه من عند الله ! ويقول الشيخ أحمد ديدات: وأنذكر أننى قابلت يوما قسيسا صغير السن، كان يتتردد على مسجدنا فى جوهانسبرج، وفي ذهنه مهمة نبيلة، وهى دعوة المترددin على المسجد إلى دينه، فدعوه للغداء فى منزل أخي القريب من المسجد، وخلال مناقشتنا حول موضوع

أصالة الكتاب المقدس وصحته ، لاحظت تصميمه العنيف، فقلت له: إن البروفيسور جيزيز، "وهو رئيس قسم اللاهوت في جامعتهم" لا يؤمن بأن الكتاب المقدس هو كلام رب، فكان رده مباشرة دون أي تردد: أنا أعلم ذلك، فكررت قولـي: إن محاضركم لا يؤمنـ بأنـ الكتاب المقدس كلام رب! فردد ثانية: أعلم ذلك، وتتابعـ قائلاً: ولكنـى شخصـياً أـومنـ بأنـهـ كلامـ ربـ ! وأقولـ لكمـ: إنهـ لا يوجدـ علاجـ لهذاـ النوعـ منـ الناسـ المـغلـقـينـ، حتىـ عـيسـىـ نـفـسـهـ كانـ يـفـاسـىـ مـنـ اـنتـشـارـ هـذـاـ الـمـرـضـ بـيـنـ الـذـيـنـ مـنـ حـولـهـ "لـأـنـهـ يـبـصـرـونـ وـلـاـ يـبـصـرـونـ، وـبـيـسـمـعـونـ وـلـاـ يـسـمـعـونـ وـلـاـ يـفـهـمـونـ" إـنجـيلـ القـدـيسـ متـىـ 13:13ـ. وـكـذـلـكـ يـقـولـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ: "وـمـنـهـ مـنـ يـسـمـعـونـ إـلـيـكـ أـفـأـنـتـ تـسـمـعـ الصـمـ وـلـوـ كـانـواـ لـاـ يـعـقـلـونـ وـمـنـهـ مـنـ يـنـظـرـ إـلـيـكـ أـفـأـنـتـ تـهـدـيـ الـعـمـيـ وـلـوـ كـانـواـ لـاـ يـبـصـرـونـ". الـبـوـنـ بـعـيـدـ بـيـنـ نـظـرـيـةـ الـوـحـىـ عـنـدـ أـهـلـ الـكـتـابـ . فالـوـحـىـ عـنـدـنـاـ إـلـهـاـمـ إـلـهـىـ خـالـصـ فـىـ مـعـناـهـ وـمـبـنـاهـ، لـاـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـتـجـاـزـهـ مـرـسـلـ مـنـ اللهـ "وـلـوـ تـقـولـ عـلـيـنـاـ بـعـضـ الـأـقـاوـيلـ لـأـخـذـنـاـ مـنـهـ بـالـيـمـيـنـ ثـمـ لـقـطـعـنـاـ مـنـهـ الـوـتـيـنـ فـمـاـ مـنـكـمـ مـنـ أـحـدـ عـنـهـ حـاجـزـيـنـ" أـمـاـ الـوـحـىـ عـنـدـ أـهـلـ الـكـتـابـ فـكـلـامـ إـنـسـانـ رـبـانـىـ فـانـ فـىـ خـدـمـةـ اللهـ، قـدـ يـحـفـظـ بـقـايـاـ مـاـ نـزـلـ عـلـىـ مـوـسـىـ وـعـيـسـىـ ثـمـ يـرـوـيـهـ كـمـاـ يـتـيـسـرـ لـهـ، وـقـدـ يـضـمـ إـلـيـهـ مـاـ اـقـتـنـعـ بـصـدـقـهـ، أـوـ مـاـ رـسـبـ فـىـ نـفـسـهـ مـنـ وـقـائـعـ شـائـعـةـ وـفـلـسـفـاتـ سـائـدـةـ. وـقـدـ يـجـمـعـ هـذـاـ الـخـلـيـطـ بـيـنـ عـوـاءـ جـسـدـ يـطـلـبـ الـحـبـيـبـ كـمـاـ فـىـ نـشـيدـ الـإـنـشـادـ الـذـىـ لـسـلـيـمـانـ، أـوـ مـنـاجـاهـ اللهـ كـمـاـ فـىـ مـزـامـيرـ دـاـوـدـ. وـالـمـأسـاةـ تـجـيـءـ مـنـ تـسـلـلـ عـقـائـدـ وـثـنـيـةـ، أـوـ تـجـرـيـحـ أـنـبـيـاءـ كـرـامـ، أـوـ تـحـرـيـفـ مـعـنـىـ سـامـ، وـهـذـاـ سـرـ الـاشـتـراكـ الـمـسـتـخـفـىـ وـرـاءـ تـعـدـ الـآـلـهـةـ، وـوـرـاءـ الـقـرـابـيـنـ الـمـادـيـةـ الـتـىـ يـسـتـرـضـىـ بـهـاـ إـلـهـ الـغـاصـبـ. مـنـ أـجـلـ ذـلـكـ جـاءـ وـعـيـدـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ "فـوـيلـ لـلـذـيـنـ يـكـتـبـونـ الـكـتـابـ بـأـيـدـيـهـمـ ثـمـ يـقـولـنـ هـذـاـ مـنـ عـنـدـ اللهـ لـيـشـتـرـوـ بـهـ ثـمـنـاـ قـلـيـلاـ فـوـيلـ لـهـمـ مـاـ كـتـبـ أـيـدـيـهـمـ وـوـيلـ لـهـمـ مـاـ يـكـسـبـونـ"

ما أـسـانـيدـ الـكـتـابـ الـمـقـدـسـ؟ـ كـانـتـ وـفـاةـ عـيـسـىـ ضـربـةـ شـدـيـدةـ لـعـقـيـدةـ التـوـحـيدـ، وـمـبـداـ اـنـقـسـامـ وـاسـعـ بـيـنـ أـتـبـاعـهـ، فـالـكـثـرـةـ عـلـمـتـ أـنـ رـسـولـهـ قدـ اـخـتـارـهـ اللهـ وـذـهـبـ إـلـىـ السـمـاءـ كـمـاـ يـذـهـبـ غـيـرـهـ مـنـ النـبـيـيـنـ وـالـصـدـيقـيـنـ وـالـشـهـدـاءـ وـالـصالـحـيـنـ، أـمـاـ قـلـةـ مـنـ الـغـلـةـ فـزـعـمـوـاـ أـنـ عـيـسـىـ قـتـلـ مـصـلـوـبـاـ، وـبـنـواـ عـلـىـ ذـلـكـ أـمـورـاـ ذـاتـ بـالـ!!ـ إـنـ النـزـاعـ مـحـدـودـ الـقـيـمةـ وـالـأـثـرـ، لـوـ أـنـهـ كـانـ حـولـ قـضـيـةـ الـصـلـبـ أـوـ الـمـوـتـ، فـهـوـ أـجـلـ اـنـتـهـىـ عـلـىـ أـيـةـ حـالـ!!ـ إـنـ النـزـاعـ أـخـذـ مـسـارـاـ أـبـعـدـ مـنـ ذـلـكـ، إـذـ صـورـ الـقـتـلـ الـمـصـلـوـبـ عـلـىـ أـنـهـ اـبـنـ اللهـ الـوـحـيدـ، قـتـلـهـ أـبـوـهـ عـلـىـ هـذـاـ النـحـوـ الدـامـيـ، لـيـقـتـدـيـ بـهـ

خطايا آدم وبنيه ! وقد اعتنق النصارى الغلاة هذه الفكرة، وروجوا لها بحماس شديد، ورفضها الكثيرون. وانشعب التيار النصراني شعبيتين متخاصمتين، ظلتا على هذا الشقاق حتى حسمه الإمبراطور قسطنطين في مؤتمر "نيقيه" إذ أيد القلة القائلة بالصلب والغداء وبنيوته المسيح لله، وخذل الكثرة التي تقول بنبوة عيسى لا بنوته ! وقسطنطين حاكم وثنى تدخل فيما لا يدرى ولا يحسن، ولذلك قال علماؤنا: لم يتنصر الرومان ولكن ترورت النصرانية !! وواجه الموحدون حربا ضارية، وصودرت حرياتهم وكتبهم، وانفسح المجال للتيار الأضعف، وانفرد بالسلطة، فبقيت كتبه وحدها على حين اختفت كتب الكثرة. وعثر بطريق الصدفة على إنجيل برنابا الذي يمثل تعاليم النصرانية

الصحيحة، عثر على هذا الإنجيل في بيئه مسيحية خالصة، ولم يقع قط أن تحدث عنه المسلمين أو استشهدوا بنص فيه خلال ألف عام ! لقد غلقت كنائس الموحدين، وتلاشت قواهم، واختفت كتبهم وأنجيلهم، وانتصر الغلاة المثلثون، وانفردوا بزمام المسيحية حتى اليوم!! لذلك يقول القرآن الكريم "يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعرفون عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم" وقد جمع النصارى الجدد كل ما يؤيد وجهة نظرهم، فيما سمي بعد "بالعهد الجديد" لأن الوهبية عيسى لم يقل بهانبي سبق، وإنما جد الكلام فيها على النحو الذي وصفناه! ثم ضموا ما جمعوا إلى ما بأيدي اليهود من صحف تضمنت الغرائب، وسموا الكل بالكتاب المقدس! وعلماء الإسناد يرون من الناحية التاريخية أن الكتاب ليس له رواة موثقون، بل إن أسانيده تشبه أسانييد الأحاديث المتروكة والمنكرة والموضعية في تراثنا الإسلامي، ومن ثم اتجه النظر إلى المتن نفسه ليمحص حقيقته، ويقرر قيمته، فقد يتضمن ما هو جدير بالتقدير والاقتداء!! ومن المفيد أن نذكر رأى المغالين بقيمة الكتاب، والمرجحين له على سائر ما في الدنيا من كتب، وأول هؤلاء فيماقرأنا كتاب "جوش مكدويل" الذي ترجمه القس منير عبد النور، والذي نقل فيه عن الأستاذ "مونتيرو ولیامز" العبارات الآتية، وهي خلاصة تجارب دراسة 42 سنة للكتب الشرقية، قال بعدها: "والكتاب المقدس فريد، يختلف عن كل الكتب الأخرى في المجالات الآتية، وكثير غيرها:

أولا: فريد في ترابطه : 1- فقد كتب في فترة بلغت 1600 سنة. 2- في فترة أكثر من ستين جيلا. 3- كتبه أكثر من أربعين كتابا، من كل مسالك الحياة، منهم الملك والفلاح والفيلسوف والصياد والشاعر والحاكم والعالم. الخ ف منهم: موسى القائد السياسي الذي تلقى تعليمه في الجامعات المصرية، وبطرس الصياد، وعاموس راعي الغنم، ويشوع القائد العسكري، ونحنيا ساقى الملك، ودانيال رئيس الوزراء، ولوقا الطبيب، وسليمان الملك، ومتنى جابي الضرائب، وبولس رجل الدين. وقد كتب في أماكن مختلفة: كتب موسى في الصحراء، وإرميا في جب السجن المظلم، ودانيال على جانب التل أو في القصر، وبولس داخل السجن، ولوقا وهو مسافر، ويوحنا في جزيرة بطمس، وآخرون في أرض المعارك. وكتب في أزمنة مختلفة: كتب داود في وقت الحرب، وسليمان في وقت السلم. وكتب في أحوال نفسية مختلفة: كتب البعض في قمة أفراحهم، وآخرون في عمق أسامهم وفشلهم. كتب في ثلات قارات: آسيا، وإفريقيا، وأوروبا. أقول: ولكن نصدق كتابا هذه صفتة يجب أن نؤمن بأن الله الذي وسع كرسيه السماوات والأرض قد تنزل من عرشه وصارع عبده يعقوب صراعا استغرق الليل كله ، وفاز فيه يعقوب بالنقط وتلقب بإسرائيل!! وأن نؤمن بأنه تناول الطعام مع عبده إبراهيم، وكان على المائدة عجل مشوى وخبز رقيق، ولا ندرى أتناولوا الشاي معا بعد ذلك أم لا..؟ وأن نؤمن بأن أنبياء الله مولعون بالسكر، والزنزا بالمحارم، واغتصاب الأعراض، سيما أعراض العذيبين عن زوجاتهم في ميدان الجهاد. إن هذا العهد القديم كتاب عجيب، أو مجموعة من فصول غريبة،

ملأى بالحكايات والرؤى والتاريخ المضطربة التي قدمنا نماذج منها آنفا، وبيدو أنه لكن تكون مؤمنا يجب أن تقبل الخرافات. ثم نرمي العهد الجديد فنرى رجلا يؤلف إنجيلا لفكرة معينة! إن يوحنا ألف إنجيله لتوكيده فكرة أن المسيح هو الله أو ابن الله فعيسى الذي ولد من عشرين قرنا هو في الحقيقة موجود قبل خلق السماوات والأرض. ومرريم يوم وضع طفلها كانت تلد الجسد الإلهي، أما الإله المولود فقد يرى الناس لا يدركون!! إن الإشراك بالله جريمة في الأرض يحاربها الأنبياء كلهم، أما الإشراك في السماء فحقيقة مقررة لأن الابن، وإن كان غير الأب فهو أزلى معه، وعند التأمل هو هو ! وعفاء على العقول إن لم تقبل هذا اللغز...!!  
”وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم وتبarak الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما وعنه علم الساعة وإليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من

دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون" ثم إن الرجال الذين ألقوا الكتاب المقدس، وإن كانوا وضعاه الطاھرين فهم في الحقيقة تراجمة للوحى الأعلى، والكتاب من عند الله لا من عند أنفسهم! وتدبر هذا الحوار بين المسيح، وخصومه من اليهود بعد ما أعلن عن مساواته لله قائلاً: أ- "أنا والأب واحد" (يوحنا 10: 30)، فتناول اليهود حجارة ليترجموه، فسألهم: "أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي، بسبب أي عمل منها ترجمونني؟" أجابه اليهود: "لستنا نترجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إليها" (راجع يوحنا 10: 30 - 33).

يقول المؤلف: وهذه العبارة هي قمة إعلان المسيح عن صلته بالأب، وقد أثارت غضب الفريسيين بشدة، حتى إنهم أصدروا الحكم عليه وتناولوا حجارة ليترجموه، حسب نص اللاويين 24: 16 ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي حاولوا فيها رجمه (يوحنا 8: 59)، لأن بسبب عمل صالح أتاه، بل بسبب "تجديفه"، دون أن يتمهلوا ليروا مدى صدقه في هذا الادعاء. هكذا يقول المؤلف. ب - يوحنا 5: 17 - 18 "فأجابهم يسوع: أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل. فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه، لأنه لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضاً: إن الله أبوه، معادلاً نفسه بالله". وفي هذه الآيات لا يقول المسيح عن الله "أبونا" بل "أبي" موضحاً علاقته الفريدة بالأب، وبأن عملهما مشترك، وهو بهذا يبرر شفاءه للمرضى في يوم السبت. كان اليهود يقولون عن الله إنه "أب" لكنهم كانوا يضيفون إليها "في السماوات" ولكن يسوع هنا يقولها ببساطة معبراً عن الصلة القوية والمساواة الكاملة بينه وبين الله، وأدرك اليهود قصده فأرادوا قتله. ج - يوحنا 8: 58 "قال المسيح لليهود: "الحق الحق أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" وكلمة "الحق الحق" مكررة هي قسم قوى يسبق إعلانه أنه الله! وارتعب اليهود "فرفعوا حجارة ليترجموه". ولا عجب فإن إنجيل يوحنا تتصدره هذه العبارة "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله. وكان الكلمة الله". ولا يوجد في الأولين والآخرين عقل يتسع لهذه المتناقضات، فاليسوع إنسان كريم، دعا إلى عبادة الله الواحد "وإن الله ربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم" ولو أنه زعم الألوهية ما استمع إليه أحد. لقد كذب اليهود رسالته حين ادعى النبوة، ولو ادعى الألوهية ما وجدوا صعوبة في قتله كما قتل سليمان المرشد في لبنان، وما كان أحد ليدافع عنه

"ومن يقل منهم إني إلى الله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الطالمين" وسيبقى المسلمين إلى آخر الدهر يسرون بين إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد في تلقي رسالات الله. ولا يزال عدد من المسيحيين يرون عيسى إليها ابن الله، وعند الله الملتقى "إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون"

ما عدا التوحيد باطل...! سرت في أعصابي حماسة الإيمان وأنا أستمع الفتية أهل الكهف يقولون: "ربنا رب السماوات والأرض لن ندعوك من دونه إليها لقد قلنا إذا شططا" قلت: صدقتم ليس للكون إلا سيد واحد؛ هو الحق القديم، الذي تقوم به الأشياء وتتدور، إن شاء أمسكتها فظلت بإذنه موجودة، وإن شاء استرد ما وهب فإذا هي في أودية الفناء مفقودة! ليس معه آخر من هو؟ وأين هو؟ ماعداه صفر! إن أدركته منه الإيجاد فالله صار حيا، وإن تخلى عنه ربه دخل في المحاق فصار وهمًا. بيد أن الغريب في حياة الناس أنهم أولعوا باختلاق آلهة أخرى، سموها بنات الله "ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون" وجاء آخرون فزعموا أن الله ابنا، هو منه أو معه "وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكافور مبين"

إخواننا النصارى راعهم ما جرى على يد المسيح من خوارق للعادات، ثم ما أحاط بمولده من غرابة، وشذوذ عن القاعدة، فقالوا: إنه لا شك ابن الله، وهو مع بنته إلى معه يساوى آباء في الأزل والأبد. ثم سمعوا بذكر جبريل - روح القدس - ينزل بالوحى، ويؤيد الأنبياء، فقالوا، وهذا الأخير إلى الله ثالث والكل واحد!! ولم تعرف هذه الفكرة أذهان الفلاسفة، وهم - في غيبة الوحى - يبحثون عن الله!

ولم تجر هذه المقالة على لسان نبى من الأولين والآخرين، فقد اتفقت كلمتهم على وحدانية الله "وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبden" والفتية أهل الكهف، وقد عاشوا في عهد الدولة الرومانية، وقاوموا شبّهات الشرك التي شاعت بينهم - يقولون مستنكرين: "هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم من افترى على الله كذبا"!! الحقيقة الأولى في تعاليم الإسلام أن الله واحد، لم يلد ولم يولد، وليس له ند ولا ضد، وأن ماعداه من ساكنى الأرض والسماء مخلوقون له، عانون لمجده، هاتفون بحمده، سواء كانوا ملائكة أو جن أو بشرا. ولست أدرى أكان الفتية أهل الكهف يقاومون حكماً مشركاً؟ أو سلطة مثلثة؟ أيا ما كان أمرهم فهم حراس على التوحيد متمردون على كل ربوبيّة أخرى، يقولون - كما ذكرنا - "ربنا رب السماوات والأرض لن

ندعوا من دونه إليها لقد قلنا إذا شططاً". وسورة الكهف مكية، والمفترض أنها تحارب الوثنية الشائعة في الجزيرة العربية، لكننا نلحظ في السياق الداعي إلى التوحيد، أنه يرفض التعبد بجميع صوره سواء كان الشريك المزعوم حمراً أو بشراً. وتدبر مطلع السورة "وبينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لأبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً" إن المطلع يتناول الأحزاب الشاردات كلها، يستوي من أدعى الله بنتاً أو من أدعى له ابناً..!

ومع تدبر عشرات سور المكية نرى إخلاص التوحيد من كل شائبة هو السمة الغالبة، وأن داعي التوحيد يتناول النصارى كما يتناول غيرهم، بل ربما كان الحجاج أكثر انطباقاً عليهم وتأمل في قوله تعالى في سورة الأنبياء المكية "وقالوا اتخاذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى لهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إلى الله من دونه فذلك نجزيه جهنم...." إن السياق هنا أصدق بالنصرانية التي تجعل عيسى إليها، أو تجعل الله ولداً، وهي تكشف عن أن عيسى يرفض كل غلو في ذاته، وأنه ليس إلا واحداً من العباد الذين يقفون بين يدي الله تملّكهم مشاعر الرغبة والرعب، وتحركهم عواطف الخوف والرضا. وللغز الذي لا حل له إلى آخر الدهر أن إخواننا النصارى يؤمنون بأن الثلاثة واحد، وأن الأب والابن والروح كل منهم إلى الله، وهم في الوقت نفسه إلى الله واحد! وقد نقلنا في مكان آخر اعتذار بعضهم لهذا التناقض الظاهر بأن الابن يعني صفة الحياة، والروح القدس يعني صفة العلم، وأن الذات واحدة، وضرب لذلك مثلاً بالشمس وحرارتها ونورها، وربما زاد آخرون فقالوا: يشبه ذلك ابتداء سور القرآن باسم الله الرحمن الرحيم! والاعتذار موضع تأمل، إن الذات يمكن أن توصف بصفات كثيرة لا بصفة واحدة أو صفتين اثنتين! ونحن مع أولى الألباب نصف رب الأعلى بكل كمال، لكن الوصف عرض لا يقوم وحده، ولا يتصور إلا قائمها بذات. وإذا كنت كارها لأحد العلماء فهل أستطيع إطلاق الرصاص على صفة العلم فيه فأقتلها وأصلبها، وتبقى الذات سليمة؟؟ إن هذا الاعتذار يكشف الحيرة المستكنته عند أصحابه، والزعم بأن عيسى صفة العلم، وجبريل صفة الحياة زعم مردود ومضحك.

الواقع أن النصارى الأوائل كانوا موحدين مثلكما، وأن التوحيد ساورته أوهام قلة كانت أول أمرها مغمومة ثم استفحلا خطرها على مر الأيام، فانضم الغلو الباطل إلى أصل الإيمان وسارا معاً

على نحو غامض. فالمسيحي يشعر بأنه عبد لله، ويقنع بأنه واحد، ثم يقبل على تساهل وترخيص أن يكون هناك إله ثان وثالث، ولكنها ضمية موروثة لا تثبت على التمحيق، فإذا نوّقش هرب إلى التوحيد، وإذا ترك وزع عواطفه على بعض الثلاثة، ويغلب أن يكون الابن هو الطافر الأكبر بالدعاء والولاء ! وصلة النصارى بالرب يسوع المسيح هي التي تشيع بينهم، أما الصلات الأخرى فتابعة وثانوية، إن للابن نصيب الأسد من مشاعر العباد، أما الإله الأب فيجيء تاليا، وأخيرا يجيء روح القدس إن وجد مكانا..!! أما الإسلام فتوحيده لله محض، نقى، سائق، صادق، إنه الإيمان الذي جاء به نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وإلى جانب هذا الإعلاء للذات الأقدس، فالمرسلون جمِيعا عباد صالحون، شرفهم أنهم يتقدون العبودية للواحد الكبير، ويدعون الناس طرا إلى عبادته وحده. هل هذا الطراز من الإيمان هو العيب الذي نوصم به؟ أو الذنب الذي اقترفناه؟ أو الخطأ الذي تعبأ قوى العالم لمحوه طورا بالحديد والنار، وطورا بالخديعة والحيلة..؟ "وقل للذين أتوا الكتاب والأميين أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد" وشيء آخر لا بأس من ذكره. إن الجن عالم يشبه عالم الإنس في تكاليف العقائد والعبادات وأهل الكتاب جمِيعا يؤمنون بوجودهم وإن كنا لا نراهُم. وقد لاحظت أن قصة التعدد وصلت إليهم، وأنهم لم يعرفوا وحدة الإله إلا بعد ما جمعوا القرآن، فانظر ماذا يقولون؟ "...إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك برينا أحدا وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا"

هذا ما وصفوا به حالة السوء التي وصلتهم عن الله، ثم اعتذروا عن تصديقها ابتداء بهذا الاعتذار "أنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا" هكذا شرح الإسلام الحقيقة، ومحا الظلم، وبين أنه لا إله إلا الله.

إنجيل بربنا أقرب الأنجليل إلى الصحة العقل الدينى الذى سيطر على كتابات الأولين من اليهود والنصارى لم تكن له ضوابط متزنة، بل كان يجنه إلى الخرافية برغبة جامحة، خذ مثلا قصة الشمس مع يوشع! كان يوشع فتى لموسى فى حياته، فلما مات فى أرض التيه، تولى قيادة بنى إسرائيل من بعده. قالوا: وقاتل يوشع أعداء الشعب حتى يدخل باليهود أرض فلسطين ولكن الحرب ظلت محتدمة، والشمس أوشكت على المغيب، فدعوا يوشع الرب أن يمنع الشمس من المغيب حتى ينتصر على خصومه، فوقفت الشمس عن الدوران

يوماً كاملاً! أربع وعشرون ساعة لم تتحرك فيها الأرض، ولم يقع ليل ولا نهار! وكان الناس في القارات كلها سكارى لم يشعروا بما حدث، إن النظام الفلكى اختل من أجل المقاتل الإسرائىلى يوماً كاملاً! الواقع أن هذه الرواية لا تشير إلى اختلال كونى، بل تشير إلى اختلال فى عقل الكاتب، وهى نموذج للأساطير التى روتها التوراة عن الله وملائكته ورسله. والذى يكذب فى عالم الشهادة لا يستكثر عليه أن يكذب فى عالم الغيب، ومن حقنا أن نرفض مرويات العهد القديم التى تبدو عليها مسحة الأساطير. ومثل قصة الشمس قصة الطوفان مع نوح، فإن كاتب العهد القديم زعم أن الطوفان غمر الكرة الأرضية سنة كاملة، فنيت خلالها الحياة والأحياء إلا أصحاب السفينة! وال الصحيح أن الطوفان كان حدثاً محلياً صرفاً، لا صلة لوادى النيل به؛ ولا علاقة لشبه القارة الهندية به، ولم يتحدث عنه مؤرخ هنا أو هناك، ولم تحس به أوروبا ولا أمريكا.

والرواية التوراتية لا أصل لها، والروايات التى أكدتها فى العهد الجديد مفتعلة. إن العقل المشرف على تدوين الكتاب المقدس حكى التاريخ بأسلوب مريب، واعتمد على شائعات أو ترهات لا تثبت على التمحيق العلمى. هذا العقل نفسه ساق الأحداث حين وفاة عيسى على نحو مضطرب فاليهود يقولون: نحن قتلنا عيسى، وغيرهم يقول: بل نجا عيسى من القتل بدليل رؤيته حيا بعد شائعة صلبه.. ويقول النصارى: إنه صلب ثم عادت إليه الحياة. ورأينا نحن المسلمين ثابت فى القرآن الكريم من أنه لم يقتل ولم يصلب، قد يكون مات موتاً طبيعياً حين وفاته أجله، وهذا ما أرجحه، وقد تكون العناية العليا قد نجته ليحيا فى مكان آخر على نحو لا أدريه. وكتاب الأنجليل كثيرون، وقد اختلفوا فى سرد الواقع على نحو يثير الدهشة، ولا عجب فمن هؤلاء الكاتبين من لم ير عيسى قط، فكيف كتب عنه؟ ومنهم من صحبه وكتب بلغة لم يصل إلينا نصها، ولم نعرف من ترجمها! والروايات كثيرة، وقد كانت الأنجليل أول تاريخ المسيحية تعد بالعشرات. ورأى أن إنجيل "برنابا" نموذج لأنجليل أخرى تشبهه فى السرد الصحيح، والوصف الدقيق، ولكن هذه الأنجليل طورت، وعمل الغلاة على إخفائها ومحوها.. وقد ظل التوحيد الحق له أنصاره المكافحون حتى القرن الرابع للميلاد، وبدأ فى مجمع "نيقية" الذى قرر الوهبية المسيح، أن الموحدين كثرة عدديه، ولكن الإمبراطور قسططين أزور عنهم، وعالن باضطهادهم حتى رجحت كفة التثليث والصلب، وانهزم أريوس وأتباعه من الموحدين، واستقرت فى العالم المسيحي عقيدة أخرى. ويمتاز إنجيل "برنابا"

بأنه جعل رسالة عيسى لبني إسرائيل خاصة، وهي حقيقة أكدتها أناجيل أخرى، بعبارات متفاوتة، والواقع أن عالمية المسيحية لا أساس لها، وأن عيسى أكد لمن حوله أنه تمهد لرسالة أخرى أوسع وأشمل، وأنه لم يبعث إلا لخراف إسرائيل الصالحة. وكان برنابا صريحاً في التنبؤ بنبي الإسلام، ومؤكداً ارتقايه باسمه الصريح كما جاء في القرآن الكريم "إذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أَحْمَد فلما جاءهم بالبيانات قالوا هذا سحر مبين" إن عيسى ذكرها ويحيى وداود وسليمان نبي من أنبياء بني إسرائيل، ورسالته محلية وموقوتة، أما ما انطلق به بعض التلامذة إلى آفاق العالم من تعدد وصلب فهو وهم غالب، ومسالك شخصية، يحمل أصحابها وزرها، وهي تحالف أول ما تختلف التوراة التي بين أيديهم ! وإنجيل "برنابا" لم يعرف في بيئه إسلامية ، بل إن أغلب المسلمين لا يعرفونه، وأول نسخة عشر عليها لم تكن في القاهرة أو بغداد أو دمشق من عواصم الإسلام، بل كانت في روما. ولم يقع قط خلال حروب العقائد واحتدام الجدال أن متكلماً مسلماً تحدث عن هذا الإنجيل أو استشهد به، وأنى له ذلك؟ والعقل الإسلامي عموماً والعربي خاصه لا يحسن هذا اللون من التأليف التي تخدم غاياته أو تسانده رسالته، إنه يعتمد على الجدال المباشر الصريح. من أجل ذلك نؤكد أن إنجليل برنابا أحد الأنجليل التي تقررت مصادرتها قديماً، حتى يستقر الأمر للأنجليل التي تصارح بصلب عيسى فداء لخطايا البشر، والتي وردت بها عبارات توهם أو تلمح إلى أنه ابن الله، أو إله مع الله. وخلال القرون الأربع الأولى للنصرانية كانت الحرب ضارية بين الموحدين والمعددين، ولو لا تدخل الرومان في المعركة إلى جانب المعددين ما رجحت كفتهم، وانتشرت كتبهم، وما انعقدت المؤتمرات التي صبت العقيدة المسيحية في قالبها الجديد! كان العقائد تجىء وليدة انتخابات حرة أو مزورة !!

ونحن نرى أن الكتاب الذي بعث به النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل؛ كان يومئ إلى تدخل السلطة في فرض عقائد باطلة ومحو عقائد صحيحة، وإزهاق أرواح ألف مؤلفة من "الأريوسيين" الداعين إلى وحدانية الله وبشرية عيسى. وقد ختم هذا الكتاب بالآية الكريمة "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخد بعضاً بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأننا مسلمون" وقد يثير

الأسى أن الضغط العسكري الذى فتن المؤمنين قديما تحول فى هذا العصر إلى ضغط اقتصادى غادر، يستغل الأزمات لفرض الأباطيل، ويجرى خلف المستضعفين ليختلهم عن دينهم بخبث. والمأساة التى نشهدها ونحن صامتون، أنظمة اجتماعية معينة تغرق البلاد فى بحر لجى من البأساء والضراء، حتى إذا داخ الناس وسط الأنواء، جاء من يعرض عليهم النجاة باسم الأب والابن والروح القدس!! من صانع هذا الأنظمة الخائنة التى قامت بالتمهيد المطلوب؟ من مرسى المبشرين يعرضون النجاة على الغرقى؟ إنه الاستعمار العالمى أولاً وآخرًا! هل يلام أم نحن الملومون..؟

مسارب الخرافة.... فكرة إله مزدوج أو مثلث لم ينزل بها وحى، ولئن يتمخض عنها فكر. أنا وأنت وعالمنا كله وليد إرادة علينا واحدة؛ اتجهت إلى تكويننا؛ وقدرة علينا واحدة أبرزتنا من العدم إلى الحياة، ليست هنالك قدرتان، ولا إرادتان، ولا ألوهيتان .. إنما الله إله واحد..". وقد يغتر الله كثيراً من الأخطاء العقلية والخلقية، ولكنه لا يغتفر الإساءة إلى ذاته بمزاعم التعدد والإشراك.... لقد قرر ربنا أن الملائكة له والجبروت له؟ وأن ما عداه عبد له، يستوى في ذلك كله سكان الأرض والسماء، وصدر هذا التحدى الإلهي في الوحي الخاتم مقتحماً كل زعم بأن هناك إليها آخر: "إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً لقدر أحساهم وعدهم عدا وكلهم آتىه يوم القيمة فرداً". فمن الذي تعرض لهذا التحدى بالإنكار والمواجهة؟ لا أحد، بل قال القرآن مزدرياً الآلة الأخرى المزعومة: "إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب" فبم ردت هذه الآلة؟ لم يسمع رد لأنها ليس لها وجود. ومنس التحدى شخص عيسى نفسه: "قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً"

ولم يقع تمرد في الكون تحركت له لحج الماء أو تيارات الهواء أو موجات الكهرباء غصباً أو احتجاجاً على هذا القول؛ لأن هذه الكائنات - كشخص عيسى نفسه - عبيد تسجد أشخاصها وظلالها للرب الأعلى... إنه لا إله إلا الله، وكل ما عدا الله من إنس وجن وملك، خلقهم الله من الصفر! ما كانوا شيئاً حتى شاء! وما استحق أحد منهم ثناء إلا بما أفاله الله عليه من آلاء! وهو وحده يرفع ويوضع، ويعطى ويمعن، ليس لأمين الوحي جبريل، ولا لبعوضة في مستنقع إلا استقبال القضاء الأعلى برهبة العبد القن "... حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا

ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير". وستتوقف مواكب العمران على ظهر هذه الأرض، ثم تبدأ رحلة العودة إلى الحبيب الرقيب، وستدعى الأفراد والأمم للمساءلة عن الشائعات التي صدقتها وتبعثها!. ولعل أوسع شائعة يشتد الحساب عليها ألوهية عيسى التي تألفت حولها شعوب، وتضحمت خرافات ورسمت كهانات... وقد عجل القرآن الكريم بذكر موقف من مشاهد البعث والجزاء، لعله يفيد في ترشيد دنيانا الحائرة "إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنـي كنت أنت الرقيب عليهم..." ومن النـقائض الجديـرة بالتأمـل أن النـصارـى يـنتظـرون نـزول عـيسـى لـيرـث

الأرض ويجلس على العرش عن يمين أبيه، وأن المسلمين ينتظرون عيسى ليكذب بنفسه شائعة الوهية؛ ويكسر الصليب، ويأبى إلا توحيد الله تبارك اسمه. فلينتظر المنتظرون! أما أنا وغيري من أولى الألباب فنرنو ببصائرنا إلى الفرد الصمد الذي "...إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا" ويهيمن على جماهير البشر "...ما من دابة إلا هو أخذ بناصيتها...". القدس الذي يستحيل أن يعاب أو يلحقه نقص أو يخرج من بطن أو تمسه محاقر التصورات المادية الهاابطة، الذي خضع كل شيء لمجده، وعنا لوجهه، واستكان لأمره.. "قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وزرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون" ونرجع إلى موضوع بحثنا: كيف نميز الصواب والخطأ في هذا الكتاب الذي استغرق تأليفه ستة عشر قرنا كما يروى `جوش مكدويل` !!. للشيخ أحمد ديدات إجابة ننقلها، ثم نذكر رأينا فيها.. قال: `لا نتردد نحن - المسلمين - في التسليم بوجود ثلاثة أنواع من الشواهد في الكتاب المقدس، وهو شيء لا يحتاج إلى تدريب سابق: 1- تستطيع أن ترى في الكتاب المقدس ما يمكن وصفه بأنه كلام الله. 2- كما تستطيع أن تبين ما يمكن وصفه بأنه كلام نبي الله. 3- وما هو واضح أكثر، هو ما تكون منه معظم محتويات الكتاب المقدس من تقارير لشهاد عيان أو غيرهم ممن كتبوا ما كانوا يسمعون عنه، وهو ما نستطيع أن نسميه: كلام المؤرخ.

ولا تتعب نفسك بالبحث عن بعض الأمثلة لهذه الأنواع الثلاثة في الكتاب المقدس، فإليك السطور الآتية التي ستوضح لك ما أعنيه بالضبط:

- النوع الأول: أ - أقيم لهم نبيا.. وألقى كلامي في فيه.. فيخاطبهم بجميع ما أمره به ! "سفر تثنية الاشتراك 18:18". ب - أنا أنا الرب ولا مخلص غيري "نبؤة أشعيا 43:11". ج- توجهوا إلى فأخلصوا يا جميع أقاصى الأرض فإنني أنا الله وليس آخر "نبؤة أشعيا 45:22". لاحظوا ضمير المتكلم في الجمل السابقة، وبدون أي صعوبة ستلاحظون أنها تبدو ككلام الرب.

- النوع الثاني: أ- ... صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: إيلى إيلى لم شبقتنى؟ أى إلهى إلهى لماذا تركتنى؟ "إنجيل متى 27:46". ب- أجابه يسوع: إن الوصايا كلها، اسمع يا إسرائيل، إن الرب إلينا رب واحد "مرقس 12:29". ج- فقال له يسوع: لماذا تدعونى صالحًا، إنه لا صالح إلا الله وحده "مرقس 10:18". حتى الطفل يستطيع أن يؤكد هنا أن: صرخ يسوع أجابه يسوع ،

قال له يسوع هى كلمات تنسب إلى صاحبها وهو رسول الرب.

- النوع الثالث: فنظر عن بعد شجرة تين ذات ورق، فدنا إليها، لعله يجد عليها شيئاً من ثمر، فلما دنا عيسى لم يجد إلا ورقا... "مرقس 11:13". ومعظم الكتاب المقدس يتكون من هذا النوع الثالث، وهي كلمات شخص ثالث، فإذا لاحظت الضمائر الموضحة تجد أنها ليست من كلام الرب أو

نبيه بل كلمات مؤرخ وهذا ضابط لا بأس به، ولكنه كما يقول علماء المتنطق: ليس جامعا ولا مانعا!! فقد رأينا كلاما يصدر عن الله يستحيل صدوره عنه، مثل ما أوردناه في صدر هذا الكتاب أن الله خشى أن يأكل آدم من شجرة الحياة فيخلد معه، ومن ثم طرده من الجنة! إن الله لا يخشى شيئا، والخلود لا يجيء من أصل شجرة معينة، والكلام كله تصوير مختلف لمعنى باطل. وقد رأيت كيف أجري يوحنا كلاما علي لسان عيسى أنه والإله من أصل واحد!! مع ما ورد في الأنجليل الأخرى من أن الله واحد، وهو وحده الصالح، وما عداه دونه... أما تعليلات المؤرخين، وما يشبهها من حشو فهذا ركام كثيف... والضابط الأمثل هو النظر في الكتاب كله على قاعدة أن ما لا يليق بذات الله ولا بأبيائه مرفوض... إن الله أهل الكمال كله، فكل ذرة من نقص تنسب إليه تتدحرج من تلقاء نفسها إلى النفيات المستبعدة ، كما أن أنبياءه يستحيل اختيارهم من بيئه ساقطة المروءة خسيسة المعدن، ومن ثم فوضتهم بالخنا أو الغدر لا مكان لقبوله.... وهناك أسفار تنفست فيها الغريزة الجنسية بشبق منكر، لا نdry كيف وضعت في كتاب دين!! مثل نشيد الإنشاد لسليمان، ودعك من الرؤى الهائمة التي لا توصف إلا بأنها أضغاث أحلام... !

متناقضات... يرى المسلمين أن فى تراث القوم حقاً وباطلاً، وخطأً وصواباً، وأنه لابد من ميز الخبيث من الطب. فالله حق، ولكن القول بأنه تعب بعد خلق العالم باطل! وعقابه لل مجرمين عدل، فالزعم بأنه أحسن ندماً بعد ما أغرق بالطوفان قوم نوح لا أصل له. وقد أرسل ملائكته لإبراهيم برسالة معينة، فالقول بأنه ذهب معهم إلى إبراهيم وتناولوا جميعاً الغداء ضرب من السخف. وإلغاء الرجم والقصاص وإباحة الriba مع سائر الشعوب كلام مقبوح، فإن يك اليهود قد أماتوا أحكام السماء؛ فإن محمداً بعث لإحيائها "وأن احکم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواهم واحذرهم أن يفتونك عن بعض ما أنزل الله إليك...". وقد حوت كتب القوم قصصاً هابطة ، تزين للناس اقتراف الآثام مادام الأنبياء الكبار يقترون بها.. أما القرآن الكريم فقد سرد سير النبيين سرداً صادقاً، وأبرز ما فيها من شرف وسناء.. وكل متأمل لقصة يوسف في القرآن الكريم؛ يرى كيف ظل يوسف داعياً إلى الله، معتصماً بالفضيلة، مترفعاً عن الدنيا، وكيف انتهت حياته بهذا الدعاء الرقيق "رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت ولنبي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحني بالصالحين"

ويوسف أشرف ابن لإسرائيل، أما العهد القديم فيذكر القصة على نسق آخر، وهو يحسب بنى إسرائيل قد خلقوا من طينة أخرى غير طينة البشر..! إن الشيخ رحمة الله الهندي فى كتابه **إظهار الحق** أحصى مائة اختلاف تاريخي بين الأخبار التى ذكرها الكتاب المقدس، وواجه بها مناظرية من قادة التنصير فخرسوا، وما استطاع أحدهم جوابا، وهذا الكتاب ينبغي أن يعاد طبعه، وتشرح حقائقه، وترتب على نحو يفيد المعاصرين. ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: إن دعوى الإلهام فى تأليف الكتاب المقدس باطلة، لا لأنها عارية عن دليل، بل لأن البينات قائمة ضدها.. لو كان الكتاب بإلهام إلهى لكان صادقا فيما أخبر به، وما وجد الباطل منفذا إليه. ولنذكر بإيجاز شديد - نماذج للأخطاء الفادحة التى تسللت إلى هذا الكتاب.. هناك ستة أخطاء فى نسب المسيح، شرحها الشيخ "رحمة الله" على هذا النحو : فى إنجيل متى **أن يوسف بن يعقوب**، وفي **لوقا** **أنه ابن هالى!** فى **متى** **أن عيسى** من **أولاد سليمان بن داود**، وفي **لوقا** **أنه من أولاد ناثان بن داود**. يقول **متى** : إن **جميع آباء المسيح سلاطين مشهورون**، ويقول **لوقا** : **إنهم ليسوا سلاطين ولا مشهورين**، ما عدا داود وناثان.. يعلم من **متى** **أن سلطان بن بكينا**، ويقول **لوقا** : **إن سلطائيل بن نيري**. ويفهم من **متى** **أن اسم ابن زربائيل أبيهود**، ومن **لوقا** **أن اسمه ريسا**. والغريب أن فى السفر الأول من أخبار الأيام من كتب العهد القديم جاء ذكر هذا النسب، وليس فيه أبيهود ولا ريسا، فكلا الإنجيليين

خطأ. 6- وذكر ` متى ` أن من داود إلى المسيح ستة وعشرين جيلا، على حين يذكر لوقا ` أن عدد الأجيال واحد وأربعون!! فأيهما أصح؟؟ وأيهما كان بالهام؟ الواقع أن هذه التأليف جمیعا بعيدة عن العصمة... ويطرد الخلاف في ذكر الأحداث على نحو مثير، فمثلا: ما جنسية المرأة التي استغاثت باليسوع ليشفى ابنتها؟ يقول متى: إنها كنعانية، لقيته في الطريق مسترحة ! ويقول لوقا: إنها فينيقية سورية، أتت إليه وهو يريد الاختفاء في أحد البيوت ليسترigraph... أي الخبرين أصح؟ أو أي الخبرين كان من عند الله؟ أو أن الله أوحى بالخبرين معا؟ وتقرأ خبر القبض على المسيح لمحاكمته، فترى السياق في إنجيل ` متى ` مخالفًا السياق في إنجيل ` يوحنا ` ففي الأول أن تلميذا خائنا هو الذي قاد الشرطة، ولما كان رجالها لا يعرفون عيسى! فقد قال لهم: من أقبل يده فهو المطلوب! وهكذا القصة من الإصلاح السادس والعشرين! وفيما هو يتكلم إذا يهودا - واحد من الحواريين الإثنى عشر - قد جاء ومعه جمع كبير بسيوف وعصى، من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب - والخائن - الذي أسلمه أعطاهم علامة قائلًا: الذي أقبله هو هو، أمسكه!! فتقدم إلى يسوع وقال: السلام يا سيدى وقبله أ فقال يسوع: يا صاحب، لماذا جئت؟ حينئذ تقدموا وألقوا أياديهم على يسوع وأمسكوه .. أما إنجيل يوحنا فقد سبق الخبر فيه على النحو الآتي: ` أخذ يهودا الجندي وخداما من عند رؤساء الكهنة والفرسانيين، وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح، فخرج يسوع - وهو عالم بكل ما يأتي - وقال لهم: من تطلبون؟ أجابوه: يسوع الناصري، قال لهم: أنا هو - وكان يهودا واقفا معهم - فلما قال لهم: إنى أنا هو؟ رجعوا إلى الوراء، وسقطوا على الأرض، فسألهم أيضًا: من تطلبون؟ فقالوا: يسوع الناصري! أجاب يسوع: قد قلت لكم: إنى أنا

هو..الخ ! والخلاف ظاهر بين الروايتين، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: ` الواقع أن من يراجع الأنجليل فى قصة القبض على المسيح وحبسه ومحاكمته وصلبه، ثم قيامته من قبره ؛ يجد الاختلاف بینا فى أخبارها، ولو كان بعض هذا الاختلاف فى شهادة اثنين على درهم، ما ثبتت بشهادتهما دعوى، وما انتصر حق . وفي نهاية يهودا الخائن يقول ` متى ` : إنه انتحر خنقا، ويقول ` لوقا ` إنه خر على وجهه وانشق بطنه وانسكت أحشاؤه كلها فمات ` ونقول نحن: أى الرجلين نصدق؟؟ وانفرد ` متى ` بحكاية رواها عند صلب المسيح قائلا: ` صرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح، وإذا حجاب الهيكل ينشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشقت ؛ والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الرقادين وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة، وظهروا لكثيرين، أما قائد الحراس المائة والذين معه عند القبض على المسيح فإنهم لما رأوا الزلزال وما كان؛ خافوا جدا وقالوا: حفا كان هذا ابن الله . يقول الشيخ محمد أبو زهرة : ` وهذه حادثة عظيمة لو صحت لدونها التاريخ العام الذى لم يشر إلى المسيح بكلمة، ولو صحت أيضا لآمن الرومان واليهود، الصخور تششقق، والأرض تزلزل، والأموات ينشؤون، ويسيرون على الأرض، ويراهם الكثيرون، ويبقى بعد ذلك مساغ لإنكار، ولكن لم ترد أخبار بإيمان أحد من اليهود على أثر تلك البيانات الباهرات، ولقد جزم العلامة المسيحي نورتن بكذب هذه الحكاية، وقال فى تكذيبها: ` هذه الحكاية كاذبة، والغالب أن أمثال هذه الحكايات كانت رائجة فى اليهود بعد خراب أورشليم، فلعل أحدا كتب هذه الحكاية فى حاشية النسخة العبرانية، وأدخلها الكتاب فى المتن،

وهذا المتن وقع في يد المترجم، فترجمها كما وجدها . ونقول: لعل كثيرا مما في المتن أصله في الحاشية، ثم نقل نقل خطأ في المتن، وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يكون هذا الكتاب وأشباهه مصدرا لاعتقاد جازم، وإيمان بدین؟ وكيف يزعم زاعم أن هذا الكتاب بحواشيه الدخيلة غير المعلومة من متنه الأصيل هو بإلهام من الله العلي القدير؟؟

المسلمين أتباع الأنبياء جمِيعاً مع ما في الكتاب المقدس من أخطاء تُحصى بالمئات، ومع فطاعة التهمة التي يدندن حولها، من أن الله شريكًا، أو أن للناس رباً غيره؛ فإن مبشرنا مسكيينا ألف كتيبة عن عصمة التوراة والإنجيل؛ صدره بكلمة عن المسيح الذي خلقه الله في بطن مريم بأمره وحده، وقال في شأنه "إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه..." ثم نصح النصارى بقوله: "فَامْنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللّٰهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلْدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللّٰهِ وَكِيلًا". لكن المبشر المسكين يكتب هذه العبارة في وصف عيسى : `كلمة الله حية، وفعالة، وأمضى من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل، ومميزة أفكار القلب ونياته` . وعيسى عليه السلام أفضل من هذا الكلام المبهوم الموهם، هو وجيه في الدنيا والآخرة، وسوف يقف هو وإخوانه بين يدي الله يوم الحساب لإحقاق الحق وإبطال الباطل "يُوْمَ يَجْمِعُ اللّٰهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجْبَتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغَيْوَبِ". إن هول الموقف أذهلهُم، وجعل وقائع الزمان الماضي تعزب عن وعيهم ولكن الحساب لن يدع خطأ ولا خاطئًا، وسيكشف الشركاء عن أصناف لا تضر ولا تنفع وسيمضي المشركون إلى مصيرهم الحتم ! إن القرآن حاسم في أن الله واحد، وأنه لا رب غيره، وأن مما عداه

ملك له، مكلف في الدنيا بعبادته، محاسب في الآخرة أمامه، وآيات الكتاب كانت ولا تزال معجزة تتحدى الإنس والجن. وحشود الجماهير التي توافرت على نقلها تؤكد صدقه حرفاً، وما يعرف ذلك لكتاب من المستقدمين والمستأخرين. وقد صحت - وأنا أقرأ في كتيب أمامي - أحد مصادر المعرفة في الكتاب المقدس، يقول المؤلف: ﴿فَأَخْنُوخُ الَّذِي وَرَدَ ذِكْرَهُ فِي الْإِصْحَاحِ الْخَامِسِ مِنْ سَفَرِ التَّكْوِينِ؛ يَخْبُرُنَا الرَّسُولُ يَهُوֹذَا أَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا، وَأَنَّهُ كَانَ السَّابِعَ مِنْ آدَمَ، وَهُدَا النَّبِيُّ لَا شَكَ كَانَ لَدِيهِ أَخْبَارُ الْمَاضِي... إلخ﴾. يَهُوֹذَا شَهَدَ بِالنَّبِيَّةِ لِأَخْنُوخِ! فَمَنْ يَهُوֹذَا؟ إِنَّهُ النَّبِيُّ الْزَّانِي الَّذِي نَقَلَنَا قَصْتَهُ آنِفًا مِنَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَبَيْنَا أَنَّهُ ارْتَهَنَ خَاتَمَهُ وَعِمَامَتَهُ حَتَّى يَأْتِي بِالْجَدِيِّ الَّذِي تَعْهَدَ بِتَقْدِيمِهِ ثُمَّا لِزَنَاهُ! وَأَنَّهُ كَانَ يَرْزُنِي بِامْرَأَةِ ابْنِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي لِأَنَّهَا كَانَتْ مَنْقَبَةً! هَلْ تَقْبِلُ شَهَادَةَ يَهُوֹذَا هَذَا فِي شَيْءٍ؟ لَكِنَّهُ شَهَدَ لِأَخْنُوخِ بالنَّبِيَّةِ وَالْعِلْمِ فَلَنْ نَصْدِقْ وَلَنْ نَعْلَمْ!! أَهَذِهِ مَصَادِرُ الْمَعْرِفَةِ لِأَخْبَارِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ؟ إِذَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ أَنَّ اللَّهَ مَا كَانَ يَدْرِي حَتَّى عَرَفَ بَعْدَ جَهْلِهِ أَوْ أَنَّهُ نَدَمَ عَلَى إِرْسَالِ الطُّوفَانِ يَهْلِكُ الْبَشَرِيَّةَ جَمِيعًا، فَهَلْ لِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَزَنٌ؟ إِنَّ الْكِتَابَ الْمَقْدِسَ بِقَسْمِيهِ مُلِئٌ بِأَمْرَوْرِ جَدِيرَةِ بِالتأمِيلِ وَالْبَحْثِ الْجَيِّدِ، وَقَدْ أَثْبَتَنَا مَا يَغْنِي قَلِيلَهُ عَنِ الْكَثِيرِ، وَلَنْ يَمْضِ فِي طَرِيقَنَا سَارِدِينَ الْحَقَائِقِ الَّتِي لَا رَيْبَ فِيهَا... نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ نُؤْمِنُ بِمُوسَى كَلِيمُ اللَّهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ وَصَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ، كَانَ نَبِيًّا صَالِحًا، أَبْلَى فِي اللَّهِ بِلَاءَ حَسَنًا، وَحَارَبَ الْآلَهَةِ الْمَزَوِّرَةَ وَرَبِّ عِبَادَةِ صَالِحِينَ، نَصَرَهُمُ اللَّهُ عَلَى خَصْوَمِهِمْ، وَقَالَ فِي نَتَائِجِ نَصْرِهِ لَهُمْ

"أُورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض وغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنة علىبني إسرائيل بما صبروا ودمروا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعيشون". وموسى كسائر أنبياء الله يعرف الحق ويحترمه ويتبعه حيث كان، ولذلك قال نبينا فيه: ﴿وَاللَّهُ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيَا مَا وُسِعَ إِلَّا اتَّبَاعِي﴾ وهذا صحيح، فالأنبياء أرباء من جنون العظمة وعبادة الذات، وهو لهم مع الله؛ ومع من يعمل له، ولو على حساب أنفسهم. ولو كانوا كلاً أو جزءاً أحياء في عصر محمد صلى الله عليه وسلم لنصروه نصراً مؤزراً وكيف يتأخرون عن نصرة الإنسان الذي يصرخ بوحدانية الله، ويقاوم الطواغيت بكل ما أوتي من قوة؟؟ ونحن المسلمين نعد أنفسنا إخوة لأتباع موسى الذين احتفوا به، وتحملوا معه، وقال الله فيهم: "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدِيُونَ بِمَا أَنْذَلْنَا لَهُمْ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَوْقِنُونَ". ونحن نصدق معهم التوراة التي حكموا بها، ودعوا إليها، قال الله فيها : "إِنَّا أَنْزَلْنَا التُّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَطُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شَهِداءً... " إن المؤمنين الصادقين هم على اختلاف العصور إخوة، أما الذين بدلو من بعد، وحرفو الكلام عن مواضعه، فلنا عنهم حديث لاحق... والمسلمون كذلك يحبون عيسى بن مريم، ويرفعون شأن أمه، ويعلمون أنهما من آيات الله "وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهَ آيَةً وَآوْيَاهُمَا إِلَى رَبِّهِمَا ذَاتَ قَرْارٍ وَمَعِينٍ".

وقد كت - وأنا أتلوا الكتاب . أشعر بآلام مريم وفزعها وندائها وهى تعانى آلام المخاض " يا ليتنى مت قبل هذا و كنت نسيا منسيا" ما عسى أن تقوله بكر حامل إذا اتهمها الناس بالخنا واعتقدوا أن فى بطنها ثمرة جريمة مؤكدة؟؟ أى دليل يسعفها ويحسن الظن بها، ويسقط التهمة عنها؟ ليس هناك إلا أن يتكلم الوليد فى المهد مبرئا ساحة أمه المعنأة الممتحنة. وذاك ما حدث " فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال إنني عبد الله آتاني الكتاب وجعلنينبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلوة والزكاة ما دمت حيا" ولو لا أنى مسلم أؤمن بالله وكتابه الكريم ما صدق أن مريم لم تتصل برجل ... لكن القرآن أفهمنى أن قانون السببية توقف هنا كما توقف على نحو ما فى ميلاد يحيى، وفى مواطن كثيرة أخرى، وأن اليهود كذبة فى اتهامهم مريم بالسفاح! ورنا فؤادى إلى عيسى وهو يحاول تهذيب اليهود ! إن التدين الفاسد رذيلة مركبة، وقد حاول هذا الإنسان القوى أن يعود باليهود إلى رقة الإيمان وسماحته وخلوصه لله، بيد أن القوم ركبوا رءوسهم وعبدوا نفوسهم، ونسوا ربهم، وآثروا أهواءهم " فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وشهد بأننا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين" نحن المسلمين مع هؤلاء الحواريين العظام، نصدق إيمانهم ونشد أزرهم، ونتبع معهم عيسى بن مريم رسول الله الصادق فى نبوته المسدد فى دعوته. ونحن من وراء النبي العربى محمد نؤكد قوله ` أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الدنيا والآخرة، ليس بيلى وبينهنبي ..`

ونحن نؤمن بالإنجيل الذى نزل عليه من عند ربہ، وبما تضمن من عظات صالحتات، ونعتى  
تسلسل الوھی الصادق فى قوله تعالى: "وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما  
بين يديه من التوراة وأتبناه الإنجيل فيه هدى ونور.. " إن المرسلين يمهد ساقھم لللاحقة،  
ويؤيد المتأخر منهم من تقدموه... وإذا كان العالم كله مدرسة ينتسب إليها ألف الطلاب،  
فالأنبياء أساتذة هذه المدرسة وأسرة التعليم بها، ليست بينهم جفوة ولا شحنة. والمؤمنون  
الصادقون فى آخر الزمن إخوة لمن جاءوا فى زمان متقدم، لا تفاوت بينهم فى عبادة الله  
الواحد، وصلاح النفس وشرف الخلق، ولا تفاوت بينهم كذلك فى حسن الثواب: "إن الذين  
آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم  
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" والتجسيد، والإشراك، واحتلال الأباطيل على  
الله، والإفساد فى الأرض رذائل تتنافى مع الإيمان والعمل الصالح، وبالتالي لا يرث أصحابها  
الدار الآخرة. ومن المصارحات المثيرة أن القرآن الكريم يذكر أتباعه بهذه الحقيقة الخطيرة  
حتى لا يغتروا ولا يغيروا، قال تعالى لهم: "ليس بأمانكم ولا أمانى أهل الكتاب من ي عمل  
سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله ولية ولا نصيرا ومن ي عمل من الصالحت من ذكر أو أنشى  
وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا"

أين التوراة النازلة على موسى؟ السؤال الذي نفيض في الإجابة عليه: هل بقى أتباع موسى على ولائهم له؟ وعملهم بكتابه؟ وهل بقى أتباع عيسى على وفائهم له وإخلاصهم لإنجيله؟ إن العلاقة بين الأسلاف والأخلاق مقطوعة. ولنبدأ باليهود! لقد أتوا التوراة فيها الهدى والنور، فسرعان ما فرطوا فيها، ولعبوا بتعاليمها، فسلط عليهم من احتاج أرضهم، وهدم الهيكل وأحرق التوراة، ولم تكن لديهم إلا النسخة التي كتبها لهم موسى، ولم يكونوا حفظة للوحى عن ظهر قلب - مثلما يصنع المسلمون مع القرآن - فلما حاولوا استعادتها، وكلفوا الكاهن عزرا بذلك، أخذ يجمع من هنا وهناك ما يحسبه نصوص التوراة، فكانت حصيلة هذا الجهد الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم. قال صاحب المنار: فجميع أسفار التوراة التي لدى أهل الكتاب كتبت بعد السبي، كما كتب غيرها من أسفار العهد القديم، يدل على ذلك كثرة الألفاظ البابلية بها. وقد اعترف علماء اللاهوت النصارى بفقد توراة موسى - التي هي أصل الدين وأساسه - قال صاحب كتاب خلاصة الأدلة السنوية على صدق أصول المسيحية : والأمر مستحيل أن تبقى نسخة موسى الأصلية في الوجود إلى الآن، ولا نعلم ماذا كان من أمرها؟ والمرجح أنها فقدت مع التابوت لما خرب بختنصر الهيكل. وربما كان ذلك سبب الحديث الجاري بين اليهود على أن الكتب المقدسة فقدت، وأن عزرا الكاتب الذي كان نبيا "!" جمع النسخ المتفرقة من هذه الكتب، وأصلاح غلطها. وبذلك "!" عادت إلى منزلتها الأصلية .

قال الشيخ محمد رشيد رضا: ﴿ نحن نعلم إجابتهم عندما يسألون: من أين جمع عزرا تلك الكتب بعد فقدتها، وعلى أي شيء اعتمد في إصلاح أغلاطها؟ إنهم يقولون: كتب ما كتب باللهام، فما دليل هذا الإلهام؟ وهل مع الإلهام يحتاج الكاتب إلى جمع ما بأيدي الناس الذين لا ثقة بنقولهم؟ وليته كتب الشريعة مجردة من الأخبار التاريخية التي انضمت إليها. ونقول نحن: إن الأخبار التي حوتها هذه الأسفار كانت الشاهد الأول على تسلل الكذب إليها من كل ناحية!! أكان نوح رجلاً يسكر حتى يفقد وعيه؟ أكان لوط رجلاً يسكر حتى يزنى بابنته في لياليتين متتاليتين لينجب من كل فهمها أبناء وأحفاداً؟ إن جملة من المفتريات تملأ سير المصطفين الأخيار من أنبياء الله، فهل هذا تأليف مقبول؟ وتتحدث هذه التوراة عن الله بعد ما خلق السماوات والأرض فتقول. ﴿ فرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وببارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً ! ألا تحس ركاكة العبارات والتكرار الرديء الذي يزحمه؟ ودعك من هذا! ألا تحس من هذا الكلام أن الخالق تعب تعباً شديداً من المجهود الذي قام به؟ انظر إلى هذا الإسفاف في وصف الله سبحانه وتعالى، وانظر إلى الأوج العالى الذى بلغه القرآن وهو ينزعه الله من كل نقص وينسب إليه كل كمال "وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم" "ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لعوب" ومع ذلك فالقرآن مختلف، وغير وحى أصيل ! والجنة فنون!

وهناك تعليقات كثيرة لكتاب مجهولين، أقحمت على الأصل ثم اعتبرت منه، وصارت وهي من صنع الناس وحيا إلهيا مع تناقضها مع المعقول والمنقول. ففى سفر التكوين حديث عن الملوك الذين ملكوا أرض أدوم قبل أن يملك ملك لبني إسرائيل! قال المحققون: لا يمكن أن يكون هذا كلام موسى عليه السلام، لأنه لم يكن لبني إسرائيل ملك فى هذه الأرض.. ولم يقم لهم ملك إلا فى عهد شاول الذى جاء بعد موسى بثلاثة قرون ونصف. قال: آدم كلارك أحد مفسرى التوراة: أظن طنا قويا قريرا من اليقين أن هذه الآيات كانت مكتوبة على حاشية نسخة صحيحة من التوراة، فظن الناقل أنها جزء من المتن فأدخلها فيه. وقد ذكرنا لك حديث التوراة - عن وفاة موسى، والتثنية به، وبكاء نسوان بنى إسرائيل عليه 40 يوما ودفنه فى قبر مجهول ! كيف يجئ هذا فى التوراة النازلة على موسى؟ إنه تعليق من الكاتب المجهول انضم إلى الأصل وصار وحيا.. وعندما كتب موسى التوراة قدمها إلى اليهود ناصحا لهم أن يعملوا بها، ومحذرا لهم من التهاون، وموخرا لهم على قساوة قلوبهم، ومنذرا بالشر الوخيم إذا لم يغيروا أنفسهم فجاء كاتب التوراة فضم نصائح موسى إلى الأصل المكتوب وعد الكل وحيا. قال صاحب المنار: جاء فى سفر التثنية أن موسى كتب التوراة وأخذ العهد على بنى إسرائيل بحفظها والعمل بها، ففى الإصلاح الحادى والثلاثين ما نصه: "24" فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب إلى تمامها "25" أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلا "26" خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهدا عليكم "27" لأنى أنا عارف تمددكم ورقابكم الصلبة. هو ذا وأنا بعد حى

معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتى؟ "28" اجمعوا إلى كل شيخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض "29" لأنى عارف أنكم بعد موتى تفسدون وتزيفون من الطريق الذى أوصيتكم "30" ويصيّبكم الشر في آخر الأيام لأنكم تعملون الشر أمام رب حتى تغيبوه بأعمال أيديكم "31" فنطق موسى في مسامع كل جماعة إسرائيل بكلمات هذا النشيد إلى تمامه . وه هنا ذكر النشيد في الفصل الثاني والثلاثين - ثم قال أى الكاتب لسفر التثنية :- "44" فأتي موسى ونطق بجميع كلمات هذا النشيد في مسامع الشعب هو ويشع بن نون "45" ولما فرغ موسى من مخاطبة جميع بنى إسرائيل بهذه الكلمات "46" قال لهم وجهوا قلوبكم إلى جميع الكلمات التي أنا أشهد عليكم بها اليوم لكي توصوا بها أولادكم ليحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة لأنها ليست أمرا باطلأ عليكم بل هي حياتكم وبهذا الأمر تطيلون الأيام على الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها لتملكوها . وهذا قليل من كثير من تحريف الكلم عن موضعه، ومن تحويل كلام البشر إلى وحى سماوى! ومع ضياع أجزاء مهمة من الوحي النازل، فإن هناك إضافات لها طابع خلقى سيئ. إن الله حرم الربا لدوع إنسانية معروفة.. فجاء كاتب التوراة بنص آخر لا تقرض أخاك الإسرائيلي بربا!! أما سائر البشر فاستباحثتهم جائزة!! وأنا أجزم بأن النصوص الآمرة بحرب الإبادة عند الانتصار على الخصوم لم يجيء بها وحى سماوى، وإنما هي من صنع قساة القلوب الذين كرهوا البشر وكرههم البشر والمأساة أنهم حولوا أهواءهم إلى دين، وتوحشوا باسم الله وهم يتعاملون مع الآخرين ! وقد جاء محمد ليكشف هذه المظالم والظلمات

”تَاللهُ لَقَدْ أَرْسَلَنَا إِلَى أُمُّمٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيهِمُ الْيَوْمُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتَبْيَنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ“

أين الإنجيل النازل على عيسى؟ لم يكن حظ الإنجيل خيرا من حظ التوراة، بل لعله كان أردا! فبعدما اختفى عيسى اختفت معه صهائف الكتاب الذي أنزل عليه، ولم يجد أحد أثرا لها إلى يوم الناس هذا.. والفوضى الواسعة التي أعقبت وفاته عليه السلام، ترجع إلى سطوة السلطة الرومانية، وإلى أثر اليهود بين طبقات الشعب، فقد تعاون الفريقان على مطاردة من آمن بعيسي ومصادرته ما يشير إلى تعاليمه، وظل هذا الاضطهاد أكثر من ثلاثة قرون، اختلف المسيحيون خلالها اختلافا كبيرا وظهر هذا الاختلاف في الكتب التي قيل أن تلامذة عيسى ألقوها متضمنة تعاليمه... وقد سميت هذه الكتب كلها أناجيل، لأن مؤلفيها شرحوا حياة عيسى، وسجلوا ما وعوا من عطائه وتعاليمه على أنها خلاصة الإنجيل الذي بشر به! وهذه تسمية تدعو إلى التساؤل، بل إلى الإنكار... فنحن ألفنا الكثير عن حياة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فهل ما ألفناه يعتبر كتابا أو سنة؟؟ كلا، إن الأناجيل المذكورة كتب سيرة لا أكثر ولا أقل، وقد اختلفت فيما بينها اختلافا واسعا بلغ حد التناقض، والمروي أنها بلغت سبعين إنجيلا!! بعضها يقوم على التوحيد، وبعضها يقوم على التثليث، وتبع ذلك اختلف النصارى أنفسهم في أصل العقيدة، وقد ظل هذا الانقسام إلى مؤتمر ”نيقية“ سنة 325 للميلاد، حتى نصر قسططين مبدأ التثليث، ومهند لذلك بجعل المسيح ابن الله - مع أنه رأى قلة المؤتمرين - ثم جاء مؤتمر آخر فأله الروح القدس...!!.

واعتبرت الأنجليل الموحدة كاذبة ، وبدأ عصر مصادرتها الشاملة...!! ويدرك صاحب المنار رأياً بعض مؤرخي الكنيسة بأن عدد الأنجليل الكاذبة خمسة وثلاثون.. كما ذكر رأياً آخر لصاحب كتاب : ذخيرة الألباب المارونى ينكر القول بكثرة الأنجليل، ويزعم أن سبب القول بكثرتها تسمية الإنجيل الواحد بعده أسماء، ويؤكد أن الخمسة والثلاثين إنجيلاً لا تكاد تبلغ العشرين، وأحصاها كلها ذاكراً بينها إنجيل القديس برنابا.. ولنفرض جدلاً أنها عشرون إنجيلاً فقط، فain ما فوق الأربعه المعتمدة؟ الواقع ا، الأنجليل التي قامت على التوحيد كانت اغلب ، وأن الأقدار حفظت إنجيل برنابا ليكون نموذجاً لها، وأن الاستبداد السياسي الذي عرف به الرومان أتى عليها، وأن الأربعه المعتمدة لا تنهض على نقل صحيح - بله التواتر المطلوب - وأن أصولها وترجماتها معلقة لا يكاد يعرف لها صاحب.. ولو فرضنا جدلاً أن بها خيراً فليس هى يقيناً إنجيل عيسى الذي كان يقول للناس : توبوا وامنوا بالإنجيل، والذي وردت تسميته تارة بأنه إنجيل الله وتارة إنجيل المسيح. ومعروف - كما قال صاحب المنار - أن الكتاب الإلهي ينسب إلى الله لأنه منزل ، وينسب إلى الرسول لأنه تلقاه عن ربه، فيقال : إنجيل عيسى ، كما يقال توراة موسى.. إن النصارى فى انتقامهم إلى عيسى لا يعتمدون على شيء ذى بال ، ولعل ذلك السر فى مجىء العبارة القرآنية عنهم وبها رائحة الدعوى!! قال تعالى : ` ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيمة وسوف ينبعهم الله بما كانوا يصنعون ` ما أبعدهم عن عيسى ! وما أجرأهم عليه ! قال صاحب المنار : ` وقد اشتد اليهود فى عدوائهم ومطاردتهم ، فلم تكن لهم هيئة اجتماعية ذات قوة

وعلم؛ تدون ما حفظوه من إنجيل المسيح وتحفظه، ويظهر من تاريخهم وكتبهم المقدسة أن كثيرا من الدعاة كانوا يبثون بين الناس في عصرهم تعاليم باطلة عن المسيح، ومنهم من كتب ذلك، حتى إن الذين كتبوا كتابا سموها الأناجيل كثيرون جدا، كما صرحوا به في كتبهم المقدسة وتاريخ الكنيسة. وما ظهرت هذه الأناجيل الأربع المعتمدة عندهم الآن إلا بعد ثلاثة قرون من تاريخ المسيح عندما صار للنصارى دولة بدخول الملك قسطنطين في النصرانية، وإدخاله إليها في طور جديد من الوثنية!! وهذه الأناجيل عبارة عن تاريخ ناقص للمسيح، وهي متعارضة متناقضة، مجهلة الأصل والتاريخ، بل وقع الخلاف بينهم في مؤلفيها؛ واللغات التي ألقواها بها، وقد بینا في تفسير أول سورة آل عمران حقيقة إنجيل المسيح وكون هذه الكتب لم تحو إلا قليلا منه، كما تحتوى السيرة النبوية عندنا على القليل من القرآن والحديث، وهذا القليل من الإنجيل قد دخله التناقض والتحريف. وقد أورد الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه **إظهار الحق** مائة شاهد من الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى على وقوع التحريف اللفظى والمعنوى فيها . إن القدامى والمحدثين من علماء الإسلام ومقارنة الأديان نقدوا النصرانية سندًا ومتنا، وكشفوا عن كثير مما يكتنف عقائدها من ريب، واليوم ونحن في القرن العشرين للميلاد نقرأ للمحققين المسيحيين ما يؤكّد رأينا، ويصدق علماءنا، لقد ألف اللواء المهندس أحمد عبد الوهاب كتاباً أسماه **اختلاف في تراجم الكتاب المقدس** اعتمد فيه على وثائق أثبتها لمحققين مسيحيين، تشير إلى تفاوت رهيب في هذه التراجم تمّس صميم العقائد المسيحية!! قال تحت عنوان **صيغة التثليث** : **وردت هذه الصيغة في رسالة يوحنا الأولى - الإصلاح الخامس: العدد 7 -** وكانت تعتبر النص الوحيد - في الكتاب المقدس - الذي يعطى الأساس لعقيدة التثليث التي تقول بأن الثلاثة:

الأب، والكلمة، والروح القدس هم واحد! لكن الترجمم الحديثة للكتاب المقدس حذفتها باعتبارها نصا دخيلاً أقحمه كاتب مجهول منذ قرون... يقول كتاب: ` هل الكتاب المقدس حقاً كلمة الله؟ ` الذي طبع في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1969، ثم في بيروت، بالعربية عام 1971، ويوزع كرسالة تبشيرية، في صفحة 160 - وهو يتحدث عن الترجمات المختلفة المتلاحقة التي من شأنها تنقية الكتاب المقدس مما يكون قد علق به من أخطاء نتيجة لقصور الترجمات السابقة - ما يلى: ` بمقارنة أعداد كبيرة من المخطوطات القديمة باعتناء، يمكن العلماء من اقتلاع آية أخطاء ربما تسللت إليها. مثلاً على ذلك: الإدخال الزائف في يوحنا الأولى، الإصلاح الخامس، فالجزء الأخير من العدد 7، والجزء الأول من العدد 8 يقول - حسب الترجمة البروتستانتية العربية، طبع الأميركيان في بيروت، ونقرأ في الترجمة اليسوعية العربية شيئاً مماثلاً - : "في السماء.. الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد. والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة". ولكن طوال القرون الثلاثة عشر الأولى للميلاد، لم تشتمل آية مخطوطة يونانية على هذه الكلمات، وترجمة ` حريراً ` العربية تحذف هذه الكلمات كلها من المتن، والتراجمة البروتستانتية العربية ذات الشواهد تضعها بين هلالين، موضحة في المقدمة أنه "ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها" وهذا تساعدنا الترجمات العصرية للكتاب المقدس على الوصول إلى المعنى الصحيح لما نقرأه ` . تقول ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليكيك: ` لأن الشهود في السماء ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد، والشهود في الأرض ثلاثة الروح والماء والدم، وهؤلاء الثلاثة هم في واحد - 1 يوحنا: 7-8` . وتقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانط: ` فإن الذين يشهدون في

السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد. والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم في الواحد . وإذا رجعنا إلى التنبيه الذي وضعته هذه الترجمة في مطلعها نجده يقول في الكلمات التي توضع بين هلالين أو قوسين ما يلى: ﴿والهلالان﴾ يدلان على أن الكلمات التي بينهما ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها . أي أن صيغة التثليث هذه فقرة مزيفة من عمل كاتب مجهول...﴾. وهذه المحاولات- وإن ظهرت ذات طابع علمي- لت تغنى عن الحق شيئاً.. فإن العقائد المترورة بين النصارى نبت! في الأرض، ولم تنزل من السماء، وهي وليدة مؤتمرات بشرية أشرفت عليها سلطات وثنية، ولو افترضنا- كذبا- أن لها أساساً قائمة فإن متونها تصادم العقل والمنطق، وتجعل الدين مرادفاً للأساطير والخرافات... وهذا سر الصراع بين الدين والعلم، وص الشقة الواسعة بين الحضارة المنشودة- وما يصبو إليه رجال الكهنوت... إن العلمانية لا رواج لها إلا في عالم تقوده النصرانية، وتحتكر فيه الحديث عن الدين.. ورواج العلمانية- من جانب آخر- إجابة صادقة لما كتبه أبو الحسن الندوى تحت عنوان: ﴿ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين﴾؟ إن تخفف من الدين الحق فسح الطريق للأوهام والخرافات!!

وسائل التنصير المعاصرة..! من الصعوبة بمكان أن يرتد مسلم عن الإسلام إلى النصرانية، أنه من الصعوبة بمكان أن يرتد طالب جامعي إلى التعليم الابتدائي، أو يتحول عالم ذرة إلى العمل بمعبد هندوكي!!! إن المستوى الذي يبلغه المسلم في مجال العقيدة بم و معرفة الله؟ يتتجاوز بمراحل شاسعة المستوى الدينى الذي يقف عنده اليهود والنصارى! ومن ثج فإن الارتداد لن يكون عودة إلى الوراء، وإذا حدث لأمر ما فسيكون انسلاخاً عن الدين كله، وبعدها عن تعاليم الأنبياء أجمعين... وقد تقع صور للارتداد لا تمت إلى طبيعة الإيمان ومنطقه كارتداد تجتقة ابن الأئم عن الإسلام إلى النصرانية، فقد كان أميراً يجر ثوب الإمارة وراءه، فداس عليه أعرابى سادج، فتحول إليه جبلة ولطمه، وبلغت القضية عمر ابن الخطاب فأوجب القصاص! واستنكر جبلة الحكم: كيف. يقتضى من أمير لسوقه؟ وهرب متنتشرًا إلى الشام، وعندما بردت جذته ندم على قعلته وقال: تنصرت الأشراف من عار لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر تكتفى منها لجاخ ونحوه وبعت لها العين الصحيحة بالعور فياليت أمى لم تلدنى وليتني رجعت إلى الأمر الذي قاله عمر وقد بيع امرؤ دينه في مقابل ما يراه خطيراً من رغبة أو رهبة! ولكن هذه النواذر لا حساب لها، فإن اكتراثنا هو للموازنة الحرة، والإيثار الغالب، بعيداً عن سوق المساومات.. ومن ثم فلست أخاف على الإسلام من جهود الفنثرين، مهما اشتدت، فهي إلى بوار!

لكن هناك أساليب أخرى جريها الاستعمار العالمي، وأعان بها الاستشراق والتبيشير إعانت مخوفة، وهي التي نتحدث عنها هنا. والمحور الذي تدور عليه هذه الأساليب؟ فصل المسلم عن دينه بطرق شئ!!، وتجفله يستقبل الحياة الحديثة فارغ القلب من عقيدة، عالي ئ السلوك من عبادة وخلق، شاعراً بوحشة البعد عن الله ووصاياته... وبذلك يتحول إلى هدف سهل للمنصرين، إنهم والحالة هذه لم يصطادوا مسلماً، بل استولوا على أمرء شريد، لا قلب له ولا مأوى.. وتكوين هذه الشخص هدف أوروبا وأمريكا، تساعدهما على تحقيقه الحكومات العلمانية التي تزعم التسوية بين الأديان، وهي تركب الصعب والذلول لتوهين الإسلام وأدابه وشرائعه وقيمه. الإسلام وحده هو الذي لا يجوز الانتماء إليه، ولا الولاء له، ولا الحنين إلى استعادة مظاهره في المجتمع والدولة.. والاستعمار العالمي يتبنى هذه الغاية سـاـ وـعـلـنـاـ، ومع أنه يوثر الرقة في الوصول إلى أغراضه إلا أنه يستسهل الاغتيال إذا

وجد نفسه مضطراً إليه، وهو يتبنى أشخاصاً معينين لتحقيق مآربه!! كانت مراحل التعليم الأولى يدرس فيها خريجو مدارس المعلمين الذين يلتحقون بها وهم حفاظ للقرآن الكريم، وربما درس معهم خريجو المعاهد الأزهرية، فكانت بيئة هذا التعليم عربية إسلامية.. حتى جاء الدكتور طه حسين، وجعل المدرسين من خريجي معاهد أخرى تنتسب للتعليم العام، وبذلك، وبجرة قلم، وفي هدوء غريب؟ طاح التعليم الأولى العرلى الإسلامي، وحل محله تعليم آخر، للدين واللغة فيه مكان ثانوى!! وانتقلت التجربة إلى أغلب الأقطار الإسلامية! الواقع أن بدعة ازدواج التعليم شديدة الخطر على مستقبل التعليم كله، وبقاوئها هو لمصلحة الكارهين للإسلام، الخادمين للتنصير..

والثمرة العاجلة تخرج أطباء ومهندسين وصيادلة ومحاسبين؟ وأدباء ومديرين، تصرهم بالإسلام كليل، ومعرفتهم به ضحلة، ودفعهم عنه مسلول، وتطيقهم له صفر! وفي هذا الجو تنطلق أفواج المبشرين، ويكتب أصحاب الأقلام المسمومة وتنتشر جراثيم الفتنة، وتنتظر أوربا وأمريكا الحصاد..! يالك من فئة بمعمر خلالك الجوفبىضى واصفرى وإثرى ما شئت أن تنقرى لابد يوماً أن تصادى فاصرى إن الإسلام لا ينهزم أبداً فى ميدان متكافئ، وإنما تنزل به الكوارث فى ميدان ذل فيه دعاته، واستبجد فداته، وتوئى رغى الشعوب فارغو القلوب والعقول.. وتنتم أمر آخر: هو استغلال الأوضاع الاقتصادية المضطربة بم لاستماله القراء وفتنة المترفين! فى بقاع كثيرة من دار الإسلام وجد البائسون اليائسون، ووجد الأغنياء المستغلون وقد استغل التنصير هذا التفاوت لمصلحته! لا سيما بعد تلقى تعليمات مشددة أن يبتعد عن الجدل الدينى، وأن يكتفى مثلاً بتقديم العون الصحى والاجتماعى للمحتاجين! مؤكداً لطالبيه أنه عون مجرد من `يسوع` الذى تجير المستجيرين ويعطف على المساكين.. وقد قامت مؤسسات ضخمة ئإلى العون لطالبيه على هذا الأساس، وترقب فى أمل رد الجميل، وقبول صداقة الاشارة الماكرين..؟ أن عدداً من أبناء المترفين فى الداخل والخارج عاين للعربدة والتسلط الجنسى، وكان ظهيراً ضد بلاده ودينه للعدالة المتربيصين. والأقليات الإسلامية فى العا لم تتآكل تآكل اليابسة أمام الاجح العاتية، وتکاد تعجز عن المقاومة، وهى لا تجد عوناً من أحد! وكأن القدر حكم على أغنىائنا بإنفاق المليارات فى الهباء، عقوبة لهم على الصحن بها فى سبيل الله

وحماية إخوانهم المنكوبين إننى أرقب قادة التنصير وهم يدرسون على مهل خططهم فى تدويخ أضتنا وزحزحتها عن عقائدها، بيد أفى اع د أنفجر حين أرى حصوننا مهذدة من الداخل، وأرى العلم الدينى عندنا بالغ العجز ظاهر السفة وهو يواجه الدنيا.. هذا عالم أزهى أحوال أن أقيمه فى المحراب فإذا هو عاجز عن تلاوة القرآن، وإذا أصعدته المنبر لغا كثيرا، ولم يقل شيئا.. وهذا عالم آخر يقيم الحروب من أجل فرعيات لم يقف عندها السلف الصالح، وهو يرفض العلم الصحيح ويكتب العلماء- بالجملة- فيما يحكون من تجاربهم. إن هذه افاذج من علماء المسلمين تخرج الناس عن وعيهم، وتمهد الطريق أمام قادة التنصير ليبلغوا أغراضهم.. من المسئول عن تكوين هؤلاء وهؤلاء؟ إنهم معروفون! وما أظن أننا سوف نحسن تحصين ثغورنا ما بقيت هذه الخيانات، وما بقى `علماء` السوء ينفتحون جهالتهم حيث يتكلمون..

نموذج للتنصير الرممي.. أرى تنويراً للأذهان، وتحذيراً من الأخطار، وحماية للعلم الإسلامى  
أجمع أن أثبت هنا مقالاً نشرته صحيفة الراية القطرية تحت عنوان: ` ماذا فى أندونيسيا ..؟  
ـ والمقال كتبه بالإنجليزية الشيخ أحمد ديدات، فى العدد العاشر من صحيفة البرهان سنة  
ـ 1410! يونيو سنة 1990، وهى تصدر عن مركز الدعوة الإسلامية فى جنوب إفريقيا، وتولى  
ـ ترجمته الدكتور درويش مصطفى الفار مدير المتحف الوطنى بقطر. عندما تبارى الملام  
ـ المشهور ` محمد على كلائى ` مع الملام ` جورج فورمان ` اخترع استراتيجية جديدة  
ـ للحصول على لقب بطل العالم فى الوزن الثقيل، حيث أغوى فورمان بمهاجمته "أى محمد  
ـ على" ، منذ اللحظة الأولى، بينما لجأ محمد على لارتماء على حبال الحلقة، حتى إذا ما  
ـ استوثق أن فورمان قد تعب قلب عليه المنضدة،؟ يقول المثل، وأوسعه لكما حتى أطاح به  
ـ وحصل على اللقب العالمي: وأطلق محمد على بم على تلك الطريقة اسم استراتيجية  
ـ "التحذير بالحبل". وفي تحرك كذلك الذى ابتدأه محمد على نجد النظام الأندونيسى!! الحام  
ـ يقلب المنضدة على المائة والخمسين مليون مسلم، وأقلية من عشرين مليون نصرافى،  
ـ وكان أجرأ ما صنعه هذا النظام على أعين الناس احتفاله لمدة خمسة أيام كاملة بزيارة البابا  
ـ بول الثانى ` الكاثوليكى العتيد، حيث عومل البابا فى أندونيسيا؟ يعامل رؤساء الدول،  
ـ وذلك مع تغطية إعلامية رهيبة... واعتبر الكاثوليك البالغ عددهم 5 مليون فى أندونيسيا زيارة  
ـ البابا مناسبة كبيرة للاحتفال بذكرى الاجتماع الكنسى الأندونيسى!! فى 31 / 9 / 1979

الذى وقع فيه المسيحيون هنالك اتفاقا، رعوا فيه جميا استراتيجية ترزو إلى أن تصبح أندونيسيا كلها نصرانية سنة 2029، وأطلق الاسم الحركى "عملية الاستئصال ` على ذلك الاتفاق !! وهذا البرنامج يحمل كل السمات التى تؤكد الانتصار المسيحي فى نحطته، وتتلخص نقاط ذلك الخبط فيما صلى: 1- العمل الجاد الفعال على تطبيق تعليمات ` تحديد النسل ` وقوانينه على المسلمين، ومنع المسيحيين من تطبيقها على أنفسهم. 2- يجب تسهيل حصول المسيحيين على الأراضى والقروض لإقامة المنشآت، ولا بد !! يسهم أغنياء المسيحيين فى برنامج ` عملية الاستئصال ` للتأكد من رفع المستوى الاجتماعى للنصارى. 3- يجب تسهيل حصول 75% من المدرسين والمعلمين دنى المج! والطب والهندسة؟ والتكنيات الحكومية من المسيحيين.. ولا بد من دفع المتعلمين المسلمين إلى الاضمحلال بل والزوال. 5- لا بد أن يعطى المسيحيون أصواتهم لحزب 9 جولكار ` الذى ينتمى إليه النظام الحام فى أندونيسيا وهو حزب موال لأمريكا ولحركة التنصير العالمية، ويحصل على معونات ضخمة من أمريكا. 6- لا بد أن يسيطر المسيحيون على 75% من وسائل الإعلام، الصحافة والاذاعة والتلفاز، لأن هذه من أفتك الوسائل وأنجعها لتفتيت صفوف المسلمين ووحدتهم. 7- وحيث إن أغلبية القضاة والمدعين العاملين فى أندونيسيا اليوم من المسيحيين؟ فلا بد أن يأخذوا أوامر وتعليمات تقضى بأن يكون الحكم دائما ضد المسلم إذا تقاضى مع مسيحي، حتى ولو كان المسيحي مذنب !! 8- وكقاعدة ومبدأ، فإن جميع المسيحيين فى المناصب الحكومية، من الوزراء والولاة والعسكريين لا بد وأن يقسموا يمين الولاء أمام الأساقفة.

9- تؤجل مسألة الخلافات المذهبية بين الفرق المسيحية المختلفة إلى ما- بعد تنصير أندونيسيا كلها حسب اححطط!!! وتعتبر زيارة البابا تتوسعا للنجاح الذي وصلت إليه عملية الاستئصال ` التي بدأت منذ عشر سنوات 1980 م. ويوجد اليوم في أندونيسيا عشرة آلاف صليبي مجند للتنصير، وهنالك سفينتان تنصيريتان في المياه الإقليمية الأندونيسية هما "دولوبى ` و الوجوس! تتجولان باستمرار فيما بين الجزر الأندونيسية الألفين، تذيعان فقرات من الإنجيل والتعليمات التنصيرية: "وقد تم حتى الآن تنصير أكثر من خمسة عشر مليون مسلم أندونيسي". ويحتل النصارى في أندونيسيا اليوم كل مراكز القوة، بما فيها وزارة الدفاع، حيث وزيرها هو الجنرال ا بيني موردافى ` الذي يتتصدر مع جلاودة ض ا.ت ` كوباسوس! كل عمليات القمع والعنف ضد النشاطات الإسلامية!! وقد قتل بيده ذات مرة ستين شابا مسلما!! وهنالك سعى للتعتيم على كلمتي ` إسلام ` أو ` الله ` بينما تشيع الألفاظ النصرانية أو حتى الوثنية مثل تعليمات ديانة! البا نكاسيلا` ورئيس النظام الأندونيسي- وهو متزوج من امرأة مسيحية- يحتفظ بالحكم في أندونيسيا اعتمادا على المساعدات المسيحية، وهو ينطبق عليه المثل الفرنسي: ` إن النساء يمكنهن فعل أي شيء، لأنهن يحكمن أولئك الذين يحكمون كل شيء ` فليس غريبا أن نجد البابا يشجع النصارى في أوندونيسيا على معاونة الرئيس طوال أيام زيارته، لخمسة !! ولم يجد البابا السعادة التي لقيها في أندونيسيا في أي مكان بالعالم حتى الآن !! حيث وجد 150 مليون مسلم مسالمين تقذمون له على طبق من حكومة تسيطر عليها أقلية نصرانية، وتؤكد قداسته أنها تمنع منعا باتا أي نشاط إسلامي ولا تسمح به... نعم قد يتتصارع الرؤساء والبابوات ولكن ليس في أندونيسيا حيث إن

أندونيسيا اليوم فى زمن "الحبل والبابا". وتنقل ` الراية ` ترجمة هذا الذى نشرته المجلة "الجنوب إفريقية" الاسلامية لکى يكون معلوما لدى كل مسلم، ثم تقول نacula عن أحمد ديدات: إن الجهاد من أجل الإسلام ليس اليوم وقفا على القتال بمالسلاخ فى فلسطين وأفغانستان، إن الذى يحدث فى أندونيسيا بالنسبة للإسلام لا يقل خطرا عما يحدث هناك فى بلاد الأفغان وفي فلسطين.. فيا أيها المسلمين، اتقوا الله فى إسلامكم.. وليس المطلوب اليوم إعلان الحرب على حكومة أندونيسيا التنصيرية، وليس أمرها فى حاجة إلى حمل السلاح! المطلوب أن تقف كل حكومة إسلامية من حام أندونيسيا الموقف الذى تزدغه هو وزوجته عما يقومان به للتنصير فى مخططه المؤهيب ` صملية الاستئصال! بمقاطعة الاقتصادية مثلا إن الرئيس الأندونيسى وأمثاله ومن على شاكلته أخطر على الإسلام وأولى بالمجاهدة من نجيب الله وإسحاق شامير لأن الآخرين على الأقل واضحان وضوح الشمس وليسوا متحفيفين بملحمة الرقطاء! وتوجد دنى جنوب أوربا دولة ألبانيا الإسلامية التى كان يحكمها إلى عهد قريب ملك مسلم اعه أحمد زوغو، وقد أطاحت به الحرب العالمية الأخيرة، ثم تئم بالحديد والنار محو الاسلام منها، وتغيير كل شيء فيها...! أكثر من أربعة أخماس السكان مسلمون، وأرضهم ملأى بالمساجد.. ولكن عقب الحرب الأليضة؟ أعطى الحلفاء هذه الدولة لروسيا، بعد ما اقتطعوا منها ولاية ` كوموفو ` التي ضئت ليوغوسلافيا، ولم يكن حظر القسم المقطوع أحسن حالا من الكيان الكبير، فإن الشيوعية فتكت بهما معا، وأنزلت بأهليهما أشد الهوان! كتب لنا المسؤولون عن ` جماعة أخوة الإسلام ` بتيرانا! عاصمة ألبانيا، فبذة عما وقع لهم أخيرا فقالوا: إن ألبانيا غارت عن العالم كله من خمسين

سنة، خرمت خلالها من أى ضوء لعقيدة دينية، وفرضت قطيعة تامة بين مسلمى ألبانيا وغيرهم من العرب وغير العرب !!. وغلقت جميع المساجد بأمر الدولة الحمراء، فلم يبق فى طول البلاد وعرضها إلا مسجدان لا تقام فيهما صلاة؟ لأنهما للسائحين فقط!! ولما كان المسلمون هم كثرة السكان فإن قسطهم من العذاب والاضطهاد كان مضاعفا، لا سيما وأصواتهم ظختيسة، ولا يوجد وراء الحدود من يسأل عنهم أو يهug بهم أو يقدر جهادهم أو يبكي شهداءهم. واستطرد رئيس الجمعية يقول: فمنذ عام 1944 انقطعت صلات ألبانيا بالعرب، والحكومات العربية والإسلامية، وعندما تهاوت الشيوعية وبدأ الانفتاح على العالم؟ عرض العالم الغرلى بسرعة رهيبة مساعداته، وأعلنت الفاتيكان وبعض الكنائس القرية عن الاستعداد لتقديم كل العون بشرط أن يغير المسلم احمه وعقيدته، وهم يقومون بالدعـاية بين الشباب، يقولون: إن أجدادكم كانوا مسيحيين أصلا، وإنكم دخلـغ في الإسلام تحت الضغـط العـثماني، وأنـغ الآـن تعودـون إلى الحرـية، فـعودـوا إلى دـين أـجدادـكم، وـحنـ معـنا ما يـصلـح دـنيـا آـفـهـنـا عـودـوا إـلـيـنـا. الآـن وـبعـد خـمـسـين عـامـا من تجـربـة الشـيـوعـيـة ثمـ تـدمـيرـ النـاسـ اقـتصـاديـا، وـقـدـ جـيلـانـ فـؤـئـتـهـمـا، وـيتـراـوحـ الدـخـلـ الفـرـدىـ لـلـبـسـطـاءـ مـنـ 40ـ 80ـ دـولـارـاـ، وـالـعـمـالـ مـنـ 100ـ 200ـ دـولـارـ، وـالـمـتـقـفـينـ مـنـ 200ـ 300ـ دـولـارـ أمـريـكـىـ فـىـ الـعـامـ. وـالـأـسـوـاقـ خـالـيـةـ مـنـ السـلـعـ الـضـرـورـيـةـ، وـابـخـيزـ غالـىـ الثـمنـ، وـلـبـنـ الأـطـفالـ مـفـقـودـ، وـكـلـ شـىـءـ مـهـيـأـ لـعـملـ الـبـعـثـاتـ التـبـشـيرـيـةـ التـىـ تـقـدـمـ الطـعـامـ وـالـدـيـنـ مـعـاـ !! ويـقـولـ رـئـيـسـ الجـمـاعـةـ: فـىـ سـنـةـ 1944ـ كـانـ نـسـبـةـ الـلـصـوصـ قـلـيلـةـ، وـمـعـ فـقـدانـ التـرـبـيـةـ وـغـيـبـةـ الـإـسـلـامـ، وـانتـشارـ الـكـفـرـ اـرـتـفـعـتـ نـابـةـ السـرـقـاتـ إـلـىـ 95ـ شـةـ 1990ـ، وـذـلـكـ يـعـنـىـ أـنـ مـاـ بـنـاهـ إـلـيـهـ مـنـ فـضـائـلـ خـلـالـ قـرـونـ

مضت قد تلاشى . ومع بداية الديمقراطية كان التبشير أسرع شيء إلى انتهاز الفرصة ، فقام الفاتيكان بدعم العقيدة المسيحية ، وتوثيق الروابط بين أتباعها ، عن طريق برامج تبثها الإذاعة والتليفزيون ، ويقوم البابا نفسه بعمل ندوات قد تتصل يومياً ؛ باللغة الألبانية ؛ لوضع اليد على البلاد كلها ... ويقول رئيس جماعة أخوة الإسلام : ` لقد أصبح الناس وخاصة الشباب محطمين ، ثم جاء دعاة النصرانية ، فأغروا الشباب بعمل جيد ، وحياة أفضل بعد تغيير عقيدتهم ` . وتعتبر سفارة اليونان مثلاً على ذلك في ألبانيا ، فقد أخذ 84 شخصاً التأشيرة للسفر إلى اليونان في شهر مارس الماضي ، لم يكن فيها أي اسم إسلامي ، وفي الحقيقة لقد بدل 34 منهم اسماءهم ، إنها حقاً مأساة يا إخوانى .. ` . قال : ` وفي الوقت نفسه الذي قامت فيه المنظمات المسيحية بهذا الجهد توحد عقبات كثيرة أمام المسلمين ، فلا توجد مساجد ولا أماكن دينية ، ولا توجد مطبوعات عن الإسلام نهائياً بأى لغة !! لا يوجد مال ولا توجد مواد علمية ، بل لا توجد روح عالية لتحقيق ذلك ، ولا يوجد علماء دين ليعلموا الناس ، نحن لا نجد القرآن بأى لغة يفهمها الشعب الألبانى ، لقد دمرت الشيوعية كل شيء فنحن نبدأ من الصفر ؛ وليس لدينا أي خبرات أو حتى معلومات عن الإسلام . لقد بدأ العالم المسيحي يتحرك بسرعة رهيبة ؛ وبسيولة مالية ، ومطبوعات وسيارات للتنقل ، وأجهزة تكنولوجية حديثة ، ورجال دين متدرسين وفي أول اجتماع لهم في الكنيسة ذهب 1500 مسلم حول أسوار الكنيسة ، ليس لاستماع المحاضرة ، ولكن ليثبتوا للحكومة الشيوعية أنهم مع حرية الأديان !!!

ونريد لكى نعود إلى ديننا ونقيم تعاليمه بين ظهرانينا: 1- إقامة علاقة فورية بالمعاهد الدينية بالبلاد العربية والإسلامية. 2- وجود نسخة من ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، وكتب إسلامية أخرى وترجمتها للألبانية. 3- العمل المستمر على التوجه الإسلامي فى ألبانيا فى المستقبل. 4- الدعم الكافى لبناء المساجد، وإيجاد الأجهزة التكنولوجية للعمل اليومى، ولإعداد الكوادر الدينية، وإرسال المتخصصين من الجامعات بالبلاد العربية. 5- دعم فقراء الألبان عن طريق الحكومات والمنظمات العربية والإسلامية... . فهل هناك من يغىث المستنجدين؟ ثم ماذا؟ هل تريد أنباء عن نكبة ثلاثة؟ بعد أندونيسيا وألبانيا هناك- ثلاثة ورابعة تجعلنى أردد قول الشاعر: كم يستغيث بنا المستضعفون وهم قتلى وأسرى فما يهتز إنسان كنت فى أوغندا مبعوثا من لدن الشيخ الجليل عبد الحليم محمود، شيخ الأزهر الأسبق، فلقينى رجل أشيب من الزنوج، وقال لى معاقبا: لماذا جاء آباوكم بالإسلام إلينا إذا كنتم أنتم تنسوتنا ولا تتصلون بنا أو تسألون عنا؟؟ وشعرت بالخجل أو بالخزي! وأجبته وأنا محرج: إن شاء الله نقوم بواجبكم!! وأوغندا نصفها مسلم، وثلثها وثنى، والسدس الباقي نصرانى وهو المالك لكل شيء، وهو الموضوع والشكل، والحقيقة والعنوان...!! والخطة الموضوعة لخمسين دولة في إفريقيا أن ينفرض الإسلام بتؤدة ودهاء، وأن يعلن فجأة أن القارة القديمة قد ارتدت كلها ونجح الاستعمار في تنصيرها..

والمضحك المبكي أن بعض الدعاة يذهبون إلى الأقطار الذبيحة ليثيروا فيها مشكلة السفور والحجاب، أو فتنة الشريعة والحقيقة، أو ضرر تعذد المذاهب الفقهية، أو ضرورة تحريم بعض المظاهر الشكلية!! والجنون فنون والدعوة فتون، والخطب لا يهون ما بقى أولئك الغافلون!! تهب على إفريقية السوداء رياح فتنية عاتية؟ تبغي زحزحتها عن عقائدها، ودرجات الإسلام عن منزلته الأولى، إلى الثانية، أو ما وراء ذلك حتى يتلاشى! ومعروف أن التبشير العالمي وفت نهاية هذا القرن لبلوغ غايته، وأن جيشه الهاجم استطاع التغلغل في أقطار بيضاء؟ بعدما اجتاح الجنوب والوسط.. والمعلوم أنه لا توجد تقريراً قوياً مدافعاً! فليست للأزهر بعثات تقاوم، وكذلك رابطة العالم الإسلامي، والأهالي متزوكون لأنفسهم، وكانت هناك جمعية للدعوة إلى الإسلام تعمل جنوب السودان، توقفت عن وظيفتها في أثناء حرب الخليج. وعلى جاهير المسلمين المعزولين أن يعتمدوا على فطرتهم السليمة، وقواهم الكليلة في مدافعة العدو الزاحف..!! وقرأنا أخيراً أن عدد المشتغلين بالتنصير بلغ 104000 موظف؟ وأن المعاهد التابعة للكنائص! بلغت 20000، والجماعات الخاضعة لها 500، ومدارس الlahot التي تخرج المنصرين الأفارقة 490؟ والمدارس ورياض الأطفال التي تشرف عليها الكنائس 10677؟ وبينت إحصاءات منظمة الدعوة الإسلامية أن المستشفيات التي تملكها الكنيسة 10600؟ ودور إيواء العجزة والأرامل والأيتام 680، والطلاب المسلمين الذين يدرسون دني مدارس الكنيسة ستة ملايين، وعدد الصيدليات التي تملكها 10050، والمحطات ` الإذاعية أربع عشرة.

هذا وصف موجز للجيحي الذى يعمل الان لنحت الإسلام، وتعرية أصوله وفروعه، وفن مجامعه واقتلاع أسمائه، وعلى من يقاوم هذا الجيش ألا ينتظر عونا من أحد، فلدى الأمة الكبيرة من الأزمات والآلام ما يشغلها عن نصرة مستضعف أو مواساة محروم.. قال لى صديق: إذا أفلح أولئك المبشرون فى تنصير الوثنيزا فقد قاموا بعمل حسن! قلت له: أنت لا تدرى المأسى التى تعانى منها هيات التبشير، والانهيارات الأخلاقية التى تشيع فيها !! ألا تقرأ فى الصحف كيف انتشر الإيدز فى إفريقيا حتى أصبح وباء يهدد كيانها. إن هذه البلاد المنكوبة سبقت- فى استفحال العلة- البلاد التى هاجر . منها الإيدز، فأربت عليها فى الفساد، مع فقدان الأدوية ومخلفات العلة. اعهذا الخبر: نشرت صحيفة الوفد فى 9/7/91 من المتوقع أن تناقش الكنيسة الأسقفية- اكبر طوائف الكنيسة البروتستانتية- الأمريكية هذا الأسبوع، مبدأ القساوسة الشواذ جنسيا، ومبرارة الكنيسة لزواج شخصين من نفس الجن!! اكد تقرير للكنيسة أن وجود الشواذ والشاذات فى سلك الكهنوت لم يعد سرا، وأن الكنيسة لا يمكن أن تدافع عن حقوق الشواذ والشاذات فى المجتمع عموما "!" إذا كانت تحرم العاملين فى سلك الكهنوت هذه الحقوق نفسها.. إن المدينة الحديثة علمانية الفكر والسيرة، وصلتها بالثورة منقطعة، وتفكيرها فى الآخرة صفر، وقد نفح ذلك على الدين فى أوربا وأمريكا، فهو لا يقدم للناس زادا روحانيا هم بحاجة إليه! كلا، إنه تحول إلى خادم للاستعمار الغرلى، وتحول رجاله إلى أمساك من الخلق تشرب الخمر وتقترب الخنا، وأهم ما يقدمه لсадاته توهين توى الإسلام؟ والعمل على إهانة حاضره؟ وإظام مستقبله.. على هذا النحو يعيش، ولتلك الغاية ينطلق، فهل نصوحونحن؟

قضية المرأة عندنا وعندhem.. في الكتاب الضخم الدارس لخطط التنصير بين شعوب المسلمين؟ نقرأ بابا خاصا بالمرأة! كتبه المؤلفون واهميين أن قضية المرأة ثغرة في تعاليم الإسلام يمكن النفاذ منها وليس في الإسلام ثغرات مخوفة، وإنما يخاف على الإسلام من زلل بعض المنتسبين إليه وسوء عملهم به، وما أغري أعداء الإسلام بالهجوم عليه إلا هؤلاء الأصدقاء الجهال.. على أننا قبل الشروع في رد الشبهات؟ نريد أن نسأل: ما موقف النصرانية من قضية المرأة؟ ونترك الإجابة للكتاب المقدس الذي يشرح علاقة حواء با-فطنة الأولى، وبآدم نفسه؟ فيقول: ﴿فَقَالَ الرَّبُّ إِلَهُ لِلنِّسَاءِ مَا هَذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟ فَقَالَتِ النِّسَاءُ إِنِّي غَرَّتَنِي فَأَكَلْتُ، فَقَالَ الرَّبُّ إِلَهُ لِلْحَمَّةِ لِأَنَّكَ فَعَلْتَ هَذَا مَلْعُونَةً أَنْتَ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وَحْشَ الْبَرِّيَّةِ، عَلَى بَطْنِكَ تَسْغِيْنَ، وَتَرَابًا تَأْكِلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاْتِكَ، وَأَضَعَ عَدَاوَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْزَا. نَسْلُكَ وَنَسْلُهَا، هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ وَأَنْتَ تَسْحَقِينَ عَقْبَهِ، وَقَالَ لِلنِّسَاءِ تَكْثِيرًا أَكْثَرَ أَتَعَابَ حَتْلَكَ، بِالْوَجْعِ تَلْدِينَ أَوْلَادًا، وَإِلَى رَجُلَكَ يَكُونُ اشْتِيَاْكَ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكَ، وَقَالَ لِآدَمَ: لِأَنَّكَ عَصَتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مَلْأَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أُوصَيْتَكَ قَائِلًا: لَا تَأْكِلْ مَلْعُونَةَ الْأَرْضِ بِسَبِيلِكَ، بِالْتَّعْبِ تَأْكِلْ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاْتِكَ، وَشُوْكًا وَحَسْكًا تَنْبَتُ لَكَ، وَتَأْكِلْ عَشَبَ الْحَقْلِ، بِعَرْقِ وَجْهِكَ تَأْكِلْ خَبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَخْذَتْ مِنْهَا، لِأَنَّكَ تَرَابٌ إِلَى تَرَابٍ تَعَوْفِي! وَنَسْتَفِيدُ مِنْ هَذَا النَّصِّ أَمْوَالًا. ذَاتَ بَالٍ، أَوْلَاهَا أَنْ لَعْنَةَ الْخَطَّئَةِ أَصَابَتْ آدَمَ مِنْ امْرَأَتِهِ، فَهِيَ الْمَسْؤُلَةُ عَنْ خَرْجَهِ مِنَ الْجَنَّةِ وَنَزْولِهِ إِلَى الْأَرْضِ يَكْدُحُ

ويشقي !! ويؤكد القرآن أن المرأة بريئة، وأن آدم هو الذي نسى وضعف وأضاع الأمر الإلهي بعدم الأكل من الشجرة. والثاني أن حواء - جزاء ما فعلت . ستكون حبيسة سلطان الرجل وخاضعة له .. ويؤكد القرآن أنه لا حبس ولا تسلط، بل قوامة من الرجل على بيته الذي تتبادل فيه الحقوق والواجبات "...ولهم مثل الذي عليهم بالمعروف للرجال عليهم درجة". والثالث أن لعنة الخطيئة تنتقل من الآباء إلى الأبناء ومن الأسلاف إلى الأحفاد. ويؤكد الوحي الإلهي أن الخطيئة لا تورث، وأن كل بشر مسئول برأسه عن نفسه، قال تعالى "...ولا تزر وازرة وزر أخرى... ". ونترك دور الحياة المزعوم في هذه المأساة، ونتساءل: هل الأرض ملعونة بسبب آدم؟ كما يقول الكتاب. إن القرآن الكريم يصف الأرض فيقول: " يجعل فيها رواسى من فوقها وببارك فيها... " وينظر إلى زروعها وثمارها فيجعلها وليدة ماء مبارك "ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد" ويجعل النظر في هذه الزروع عبادة "انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعمه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون". شتان بين حياة تحفها اللعنات، ويتقاسم الجنسان معا شرورها، وبين الحياة التي يجعلها القرآن ميدان سباق عادل، فمن استغل نعماءها في مرضاه

الله نجا، وإن هلك وهب الجافى على نفسه! وسوف نفيض الحديث فى موقف رجال النصرانية من المرأة- بناء على تعاليم الكتاب- بيد أننا قبل ذلك نرى ذخراً شبهات تؤلمها الكاتب فى تعاليم الإسلام... فهو يرى أن الإسلام أباح ضرب المرأة، وهذه إهانة كبيرة لا تقبل من دين أى ونقول نحن: إن إهانة امرأة عادية لا تجوز، فهي ظلم يحاسب عليه الله الذى يقول: ومن يفعل صقالم دره ! زا يرا. إن المرأة التى تعاقب بالضرب تكون مرتکبة لإحدى جرائمتين: أوما: إدخال شخص غريب فى بيت الزوجية يكره الزوج وجوده لأمر ما، فهي غيرة لها سبب، ودفع لرلاة لا معنى للسكتوت عليها. والثانى: رفض المرأة طاعة رجلها لنى العشرة الجنسية التى لابد منها، ترفعاً وكرهاً، دون مبالغة بما قد يتعرض له من فتنة مع الآخريات... وفي كلتا الحالين يكون الضرب نهاية المطاف بعد تجربة عقوبات أخف. وألطف. ثم إنه لا يجوز لطم الوجه، ولا الضرب المبرح، بل يكون نوعاً من الإشعار بخطورة ما يقع..!  
فالزعم بأن الإسلام أباح ضرب النساء مطلقاً كذب. وهناك شبهة أخرى جاءت ضد الإسلام، ورجح لها ذوو الأغراض. هل صحيح أن الرسول أرسل هذا الحكم العام في نصف البشر فقال:  
النساء ناقصات عقل ودين؟ إذا صدر عنه هذا الحكم فكيف يقول : `حب إلى من دنياكم النساء والطب` ؟ أهى محبة منه لنقصان العقل والدين؟ وكيف يوصى الرجل ببرأمه أضعاف بره لأبيه؟ أهو احترام لنقصان العقل والدين؟ وإذا كان الرجال والنساء بعضهم من بعض،؟ جاء في الآية القرآنية، فلم يكون هذا النقصان حكراً على النساء وحدهن؟؟ ولماذا لا يتعداها  
إلى

الرجال ما دام بعضهم من بعض..؟ إن الرواية الواردة جاءت في صنف معين من النساء، ولها سبب يجعل السياق مقبولا. قلت في كتابي مائة سؤال في الإسلام!: ضذر هذا الحديث يقى الأصل ة الإسلامية شرا يشيع بين الناس، جرثومته امرأة تحيا على خير رجلها، وتنكر فضله وتتجدد حقه، قد يخطيء الرجل، وكل بني آدم خطاء، وينبغي أن تتجاوز المرأة هذا الخطأ العارض، وربما كان الخطأ من وجهة نظرها هي.. ولكنها بدل ذلك تعصب غضبا طائشا، وتنسى في ثورتها كل شيء، وتزعم أنها ما رأت خيراً قط، وقد تلعن نفسها وحظها وماحدث أو يحدث لها! أليس من حق النبي أے! أن يحذر من هذا المسلك، وأن يذكر أصحاباته أنهن إن أصرزن عليه يكن من أهل النار؟ ثم يستطرد الحديث .. مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى ئى منكـ والعبرة متصلة بالجملة قبلها، فإن الرجل قد يستكين لامرأته والحق معه، حتى يوفر الهدوء في بيته! ويمنع اللجاجة والخصام! وقد يلغى فكرة الصائب من أجل ذلك الهدف؟ مما قد يدفع بالمرأة المغروبة إلى مزيد من العنت! وهذه هزيمة ذى اللبـ؟ عبر الحديثـ أو اولى الأبياب؟ كا نرى في مجتمعات كثيرة تنتصر فيها رغبات النساء على عزائم الرجال.. والمرأةـ على ضعفهاـ تحب أن تغلب غيرها وتحضر نفسها! قد تقول: وما هذا الضعف؟ والجواب لنرى تكبرينها الجلقيـ، فإنها تضحى علىلةـ وشبه علىلةـ خلالـي الدورة الشهريةـ التي تعتادهاـ، وتوثرـ في أعصابهاـ وأفكارهاـ، وتدـ عذرهاـ! اللهـ منـ أجلـ ذلكـ، وأعفـهاـ منـ بعضـ الفـروضـ. إنـ نـفـراـ منـ المـتـحدـثـينـ فيـ الدـينـ شـاءـ أنـ يـفـهمـ منـ هـذـاـ الحـدـيـثـ أـمـوـراـ لـاـ عـلـاـقـةـ لـهـ بـهـ، فـصـاغـ قـاعـدـةـ كـلـيـةـ نـشـرـهـاـ فـيـ طـولـ الـأـمـةـ وـعـرـضـهـاـ مـفـادـهـاـ إـنـ النـسـاءـ نـاقـصـاتـ عـقـلـ وـدـيـنـ لـمـ، وـسـوـاءـ كـانـتـ إـلـاـ لـجـنـصـ أوـ لـاستـغـرـاقـ فـهـذـهـ الـكـلـيـةـ الشـائـعـةـ بـهـذـاـ الفـهـمـ التـعـمـيمـيـ الصـارـمـ فـاسـدـةـ، مـنـ نـاحـيـتـىـ الـعـقـلـ

والنقل، فقد اكتملت قديماً وحديثاً نسوة أرضين الله ورسوله وخدم الدين والأمة خدمات جليلة. وهذه الكلية المزعومة تناقض الآيات القرآنية التي قررت أن النساء والرجال بعضهم من بعض، وتناقض الأحاديث التي جعلت النساء شقائق الرجال! وزاد الطين بلة في تأليب المرأة المعاصرة على الإسلام أن البعض فسر نقصان العقل بالحماقة، ونقصان الدين بالمعصية، وعد الأنوثة ترافق الخسارة والهوان، وهذا التفكير امتداد للجاهلية الأولى وهو بعض ما يشين النفسية العربية، والإسلام بريء من هذا اللغو .. ` ومن الإنفاق أن نقول: إن تحامل قادة التنصير علينا لم يأت من فراغ، فإن سيرة بعض المسلمين، وفتاوي بعض المتفقهين تجر على الإسلام صنوف البلاء.. من قال: إن المرأة لا تتعلم؟ من قال: إن المرأة لا تذهب إلى مسجد؟ من قال: إن المرأة لا ترى أحداً ولا يراها أحد؟ إن الذين أهانوا النساء، وحجرموا عليهن، وظنوا بهن الظنو؛ ينطلقون من مبادئ شاعت في الجاهلية الأولى، وسنرى في الفصول المقبلة أنها تعاليم آباء الكنيسة الأقدمين.. انتقلت إلى الأمة الإسلامية؛ لأن هذه الأمة قلدت اليهود والنصارى؛ برغم تحذير النبي من هذا التقليد وتشاؤمه من هذا الاتباع السيئ.. ! كأنما كان هناك سباق بين الجاهلية الأولى وبين آباء الكنيسة الأقدمين في تحذير المرأة والحط من قيمتها، عرب الجاهلية يستقبلون ميلاد البنت بوجه مكفر، وكما عبر القرآن الكريم: "إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم"، وأباء الكنيسة يرون أن المرأة ما دامت امرأة فهي رمز للشر والحقارة! فماذا تصنع لكي لا تكون امرأة؟ يقول: `جيروم`

فى شرحه لرسالة القديس `بولس` : `بما أن المرأة خلقت لولادة الأطفال فهى مختلفة عن الرجل كما يختلف الجسد عن الروح، وعندما ترغب فى خدمة المسيح خدمة أكثر فى هذا العالم عندئذ يجب أن تكف عن أن تكون امرأة، وستسمى رجلا !! - أى بعد رهباتيتها - والقديس `امبروز` واضح كل الوضوح عندما يقول: `تلك التى لا تؤمن، إنما هى امرأة، ويجب أن تصنف مع جنسها الأنثوى ! أما تلك التى تؤمن - أى تترهب - فهى تتقدم نحو الرجولة الكاملة، وأنذاك تخللى عن اسم جنسها الأنثوى، وغوايات الشباب وتراث العجائز` . فخلاص المرأة أن تطرح عنها أنوثتها وتصير إنسانا كاملا بالغا سن الرشد، أى تصير ذكرا.. !!

هذا ما نقله من مصادره الدينية اللواء المهندس أحمد عبد الوهاب، ولا أدرى: أيعرف هؤلاء الآباء معنى الرهباتية التى ترفع الدرجة؟ إن هذا المعنى لو صح لانتهى بانقراض العالم، فالكمال المنشود هنا يعني زوال البشرية، وانتهاء الولادات ! وذكر المؤلف أن `كريستين دى بيزان` عاشت فى القرن الخامس عشر، وكانت أدبية مرهفة الحس تبنت آلام بنات جنسها، وشرحـت ما يعانيـن من بغـضـاء وازدراء! فى كتابـها `مدينة السيدـات` الذى نقلـتـ فيه الأحكـام الصـادـرة ضـدهـنـ من `اكـوـينـاس` و `أـوغـسـطـين` وـسـائـرـ آباءـ الـكـنيـسةـ، وـتسـاءـلتـ:

هل الإلهـ الصـالـحـ العـادـلـ يـحـكـمـ عـلـىـ نـصـفـ الـبـشـرـ بـهـذـاـ الـهـوـانـ وـالـأـذـىـ؟ ثم صـاحـتـ: وـاحـسـرـتـاهـ ياـ إـلـهـ! لـمـ تـجـعـلـنـىـ أـولـدـ فـىـ هـذـهـ الدـنـيـاـ رـجـلـاـ حـتـىـ أـسـتـطـعـ خـدـمـتـكـ عـلـىـ نـحـوـ أـفـضـلـ؟ وـقدـ بـزـغـتـ شـمـسـ إـلـسـلـامـ وـاـكـتـسـحـتـ هـاتـيـكـ الـطـلـمـاتـ كـلـهـاـ، وـقـرـرـ الـكـتـابـ الـكـرـيمـ أـنـ الرـجـلـ وـالـمـرـأـةـ منـ نـفـسـ وـاحـدـةـ، وـأـنـ فـيـهـمـاـ كـلـيـهـمـاـ قـبـسـاـ مـنـ نـورـ اللهـ الـأـسـنـىـ، وـأـنـهـ لـاـ تـفـاضـلـ بـيـنـ ذـكـرـ وـأـنـثـىـ إـلـاـ بـالـتـقـوـىـ، فـلـيـسـ الرـجـولـةـ بـطاـقةـ تـوـضـعـ فـيـ مـيـزانـ الـحـسـنـاتـ لـتـرـجـحـهـ، وـلـاـ أـنـوـثـةـ بـطاـقةـ

تـوـضـعـ

فى ميزان السينات لتميل به. وقد قال الله لمن يدعونه ابتغاء فضله: "فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض" نعم الرجال من النساء، والنساء من الرجال، والسباق الذى يشترك فيه الكل هو العمل الصالح، قد يسبق الرجل وقد تسبق المرأة، فليس لإنسان إلا ما سعى.. وامرأة فرعون أشرف منه وأذكى، وكم من امرأة تقية فازت على حين هو زوجها! ما علاقة الذكورة والأنوثة بالتقوى؟! والزعم بأن الرجل مطلقاً أفضل من أية امرأة زعم كاذب، بل إنه فى ميزان الموهاب العامة والملكات العظيمة نرى الرجال والنساء فصائل وصنوفاً شتى، تتفاوت فيما بينها تفاوتاً بعيد المدى، إن هناك رجالاً أقوى وأعظم من نسائهم، لكن هؤلاء الرجال إذا قيسوا بنساء آخريات كانوا أخف وزناً، وأقل شأناً.. فالديك رجل بين الدجاج، وله سطوطه، فهل تغنى عنه ذكورته شيئاً إذا وقع تحت حوافر بقرة أو ظفرت به ذئبة؟؟ إنه هالك لا محالة.. لقد رأيت نساء ذات عقول وفهم، لا يدارن بهن رجال كثير، ولا يزري برجحانهن أنهن نساء، إن مريم أفضل من رجال ألف، بل إن امرأة مثل تاتشر أخطر وأنفع لوطنهما من زعماء خانوا دينهم وباعوه بشمن بحسن... إن القاعدة العامة فى القرآن الكريم: "من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحييه حياة طيبة ولنجزيئهم أجراً بما حسن ما كانوا يعملون" وعلاقة الزوجية لا تمحو هذا القانون، وهذا القانون الأخلاقي لا يمحو قيام الرجل على أسرته ومسئوليته عنها..

وثم أمر آخر نلمع إليه بإيجاز، إن الغريزة الجنسية من أقوى الغرائز وأعتاها، ولعل الله جعلها كذلك استبقاء لقافلة الحياة البشرية على ظهر الأرض.. وقد تساءل البعض: هل قوة هذه الغريزة في الرجل تضاد قوتها في المرأة؟ ونحن لا نملك إجابة حاسمة على هذا التساؤل! والذى يظهر للمرأة المنصف أن الناس ليسوا سواء في هذا الميل الغريزى، فبعض الرجال أشد عاطفة وأكثر شبقا، وبعض النساء كذلك، والحقيقة هنا وهناك عليها أغلفة محيرة... ييد أن العلاقة الجنسية تقوم بين طرفين أحدهما فاعل وهو الرجل، والآخر قابل وهو المرأة، أى أن الاتجاه الإيجابي يجئ من الذكور، وأكاد أجزم بأن الذكورة هي الطرف الأساسى في هذه العلاقة.. لكن المسيحية والحضارة الغربية في العصور الوسطى تصم المرأة بأنها هي سر الخطيئة وعاشقتها وحاضنتها.. والرجل مظلوم أو شبه مظلوم !! وهذا كلام انبني عليه جور كبير واتهام خطير. كتب الراهب <sup>ـ</sup>يعقوب شبرنجر <sup>ـ</sup>كتابا يبرهن فيه على أن النساء قابلات لإغواء الشيطان أكثر من الرجال، لأنهن أصلا مخلوقات فاسدات، وندع ما ساقه الراهب الجاهل من لغو لنقف عند قوله: إن شيطنة المرأة إنما تنبع من تحرقها الشهوانى الذى لا يشبع، وذلك حسب ما قاله الكتاب المقدس فى سفر الأمثال "الإصحاح 30": ثلاثة لا تشبع وأربعة لا تقول كفى: من ذلك فم الرحم !! ويبينى الراهب الظلم على هذا حكما عاما أن النساء مستعدات لمعاشرة أى شخص حتى الشيطان، ثم يتوجه الراهب <sup>ـ</sup>شبرنجر <sup>ـ</sup>إلى الله بالشكر على أن الرجال متحررون من تلك الشهوة الجنسية الملعونة!. وهذا الراهب معته بلا ريب، أو لعله مغلول بارد، وواقع الحياة يرده ويذبحه، ولكن الأفكار التي رددها هذا الراهب كان يعتنقها البرلمان الفرنسي

فى القرن السادس عشر، وقد عرضت عليه قضايا عن اتصال النساء بالشياطين ! ومع أن الإسلام أرفع من أن ينحدر إلى هذا المستوى، ومع أن عواصم المسلمين وقراهم لم تهوى إلى هذا الحضيض؛ إلا أن هناك بقايا من أحكام الجاهلية تسىء إلى الأنثى وتخدش كرامتها، سواء تسررت إلينا هذه الأحكام من تقليد النصرانية أو من استحياء الوثنية القديمة ! وبؤسفنى أن عددا من المحدثين فى ديننا متأثر بهذه الخرافات الأجنبية، أو مصدق لبعضها، وخير له أن يعود إلى كتاب الله وسنة رسوله، ينظر فيما يعقل مفتوح متجرد عن هذه المواريث الشائنة.. إن شرف الحضارة الحديثة - الذى تدعى به - هو أنها اكتشفت أن النساء شقائق الرجال، ولهم نصيبيهن الكامل من حقوق الإنسان، فهل هذه الآصرة من تعاليم ديننا أم من مآثر الحضارة المعاصرة؟ فليعقل هؤلاء الظالمون للمرأة باسم الإسلام قبل أن تثار من جهالتهم الأقدار.

المرأة في أوروبا وأمريكا... الحضارة الغربية التي تهيمن على العالم جعلت من أزياء النساء معارض فتنة ومصايد إغواء! ولست ممن يكرهون تجمل المرأة؛ أو رغبتها الطبيعية في أن يكون لباسها حسناً، ولكنني نبهت ماراً إلى فروق شتى بين التجميل والتبرج، والاحتشام والإثارة، واستبقاء مظاهر الأنوثة وإطلاق العنان لها كي تهيج وتردى ! إن هناك ملابس للليل وأخرى للنهار، وملابس للصباح وأخرى للأصيل، وزخرفاً خاصاً بالربيع وأخر للخريف، وملابس الشتاء غير ملابس الصيف، لا في التغطية بل في التحلية والتجلية ! لم هذا كله؟ إن الحضارة المنتصرة ترفض أن يحكم الإيمان الشارع العام! وتحجتها أن هناك متدينين يقولون: لا تخرج المرأة إلى الشارع أبداً، وإذا أذن لها بالذهاب إلى المسجد، فليكن السماح لها بذلك في نطاق ملابس المطبخ الحاملة لروائح البصل والتوابل! ونحن نأبى أن تحول الإباحة إلى فوضى، كما نأبى أن يتحول البيت إلى سجن، وللوسطية الإسلامية منهجه آخر بعيد عن الإفراط والتفريط ، بعيد عن التعنت والتبذل !! وتقاليد الحضارة المنتصرة التي غلت العالم - واستغلت غباء بعض المتدينين في انتزاع الزمام منهم، وفرض نفسها عليهم . هذه الحضارة لا تأبه للحلال والحرام، وتصارح بأنها ترفض الكبت الموقوت وال دائم، ومن هنا يسرت للغرائز التنفس بكل وسيلة ممتاحة ! وليس يفرق بين الإنسان والحيوان إلا أن الحيوان لا يدرى ما يسوق إليه، أما الإنسان فهو يفعل ما يفعل عامداً قاصداً.. !



وسوت الشيوعية بين الرجل والمرأة في مباشرة كل عمل قاس أو سهل، ونساء موسكو غالبا هن المشرفات على تنظيف الميادين والدوابين، والفرق بينهن وبين النساء الغربيات أنهن أقل زينة وأخف تبرجا، وذلك في الغالب للفقر الشيوعي السائد.. ! وقد رأينا صورا لفرق المجنديات في الجيش الأمريكي! لقد بلغن ألوفا وألوفا، ورأيت صورة إحداهن وهي تودع طفلها منطلقة إلى الميدان، وكانت دامعة العين! قلت لنفسي: ألم يكن في جماهير الشباب العاطل ما يعني عن خروج الغوانى للحرب؟ إن أعداد الرجال تكفى في هذا الشأن، لكن الفلسفة التي تسود العالم هي التسوية التامة بين الجنسين في مباشرة كل شيء! لعلها رد فعل لسلوك متدينين كثير، يرون أن المرأة تحجب عن كل شيء، وأنها لا تصلح لشيء.. ! والوسطية الإسلامية لها منطق آخر، وسلوك أحدى وأرشد! لا بأس أن تقاتل المرأة مدافعة عن بيتها ودينه وشرفها. إذا اضطرت لذلك في حالة الدفاع ولا معنى لتجنيدها في حرب هجومية.. لا بأس أن تعمل المرأة في أي حرفة أو مهنة بعد توفير الضمانات الشرعية التي تصور عرضها من الهمس القريب أو البعيد، لكن هناك قبل هذا كله أو بعد هذا كله أن البيوت الخالية من رباتها تنشئ أسرًا على الورق، وتعرض مستقبل الأطفال لضياع مؤكد... هناك عمل لا تحسنه إلا النساء، هو تبعل الرجل وحضانة الولد؛ وكل ما يصرف عن ذلك يهدد الحياة البشرية في الصميم. والعوج الذي يلاحظ في السلوك العام، منشأه الأول فراغ البيوت من المرأة المسئولة عن بيتها.. الحانية على أولادها، وقد أحس نفر من المصلحين خطورة هذا الوضع، وشرعوا ينبهون إلى آثاره السيئة، بيد أنى لم أجده اعترافاً أصريحاً ولا أخلاصاً من كلام الزعيم الروسي `جورباتشوف` وهو يحاول إعادة

البناء فى روسيا الشيوعية، وبعد أن ننقل كلامه كله نسجل تعليقنا عليه: قال: ` غالبا ما ينظر إلى درجة تحرير المرأة كمقاييس للحكم على المستوى الاجتماعى والسياسى للأمة. ولقد وضعت الدولة السوفيتية حدا للتمييز ضد المرأة كان سائدا فى روسيا القيصرية بتصميم ودون مساومة، وكسبت المرأة مكانة اجتماعية يضمنها القانون، وتتساوى مع مكانة الرجال، ونحن نفخر بما قدمته الحكومة السوفيتية للمرأة: نفس الحق فى العمل كالرجل، والأجر المتساوى للعمل المتساوى، والضمان الاجتماعى، كما أتيحت للمرأة فرصة للحصول على التعليم، ولبناء مستقبلها، وللمشاركة فى النشاط الاجتماعى والسياسى. ولكن طوال سنوات تاريخنا البطولى الشاق، عجزنا أن نولى اهتماما لحقوق المرأة الخاصة، واحتياجاتها الناشئة عن دورها كأم وربة منزل، ووظيفتها التعليمية التى لا غنى عنها بالنسبة للأطفال. إن المرأة إذ تعمل فى مجال البحث العلمى، وفي موقع البناء والإنتاج والخدمات، وتشارك فى النشاط الإبداعى، لم يعد لديها وقت للقيام بواجباتها اليومية - العمل المنزلى؛ وتربيبة الأطفال، وإقامة جو أسرى طيب . لقد اكتشفنا أن كثيرا من مشاكلنا فى سلوك الأطفال والشباب، وفي معنوياتنا وثقافتنا، وفي الإنتاج . تعود جزئيا إلى تدهور العلاقات الأسرية، أو الموقف المترافقى من المسئولية الأسرية، وهذه نتيجة مناقضة لرغبتنا المخلصة والمعلنة سياسيا فى مساواة المرأة بالرجل فى كل شيء... والآن فى مجرى البيروسترويكا بدأنا نتغلب على هذا الوضع، ولهذا السبب فإننا نجرى الآن مناقشات حادة فى الصحافة، وفي المنظمات العامة، وفي العمل والمنزل، بخصوص ما يجب أن نفعله لنسهل على المرأة العودة إلى رسالتها النسائية البحتة... وهنالك مشكلة أخرى، هى استخدام المرأة فى الوظائف الشاقة الضارة بصحتها، وهذا هو تراث الحرب التى فقدنا فيها أعدادا ضخمة من الرجال،

والتي خلقت لنا نقصا حادا في اليد العاملة في كل مكان، في كافة مجالات الإنتاج. لقد بدأنا الآن نعالج هذه المشكلة بشكل جاد . أحسب أن ناسا منا سوف يصيرون: ألم نقل لكم هذا؟ إننا معذورون حين حظرنا على المرأة الخروج للحياة والعمل! هاهو ذا شاهد من أهلها يمشي في الاتجاه نفسه. لقد شاهدت متدينين في أوروبا وأمريكا، وإفريقيا وآسيا يقولون: إن المرأة شيطان أو هي عون للشيطان، وكل فتاة هي حواء التي أخرجت آدم من الجنة، ولابد من تضيق الخناق عليها حتى تأمن شرها ! وكان هذا التضييق القاتل لإنسانية المرأة من وراء الانفجار الذي صبغ المدنية الغربية وأذاها.. ونحن لا ننجح إلى طرف من الطرفين المتباعددين، هذا يسجن المرأة في البيت وهذا يطلقها في الشارع.. لقد أغنانا الإسلام عن تجارب تخطيء وتصيب، وتحلو وتتمر، وهدانا صراطًا مستقيما. نحن بحاجة إلى من يعرف دين الله حق المعرفة، ثم يعالج القضايا كلها بإيمان واع، لا بفكير قاصر متشائم هدام، الذي يمنع المرأة من حق الحياة والعمل في الإطار الشرعي المناسب لفطرتها لا يقرر حقيقة شرعية ولا وضعية. والذي يتبيح لها كل اختلاط، وييسر لها كل احتراف لا يقرر حقيقة شرعية ولا وضعية ! هناك مجتمع بناه صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام ورجاله الكبار! لماذا لا ندرس ونتأسى به؟

الحجاب المطلوب للمرأة في عصرنا الحديث افتن الذين يتبعون الشهوات في عرض مفاتن النساء وإقحامهن في كل ميدان، دونما حاجة إلى هذا الإقحام. عند عرض راديو جديد قالوا: صوته صوت سيدة! وعند عرض شراب بارد؛ جاءوا بامرأة تضع عنق الزجاجة في فمها! وعند عرض ثوب للعمل أو للراحة جاءوا بامرأة ترتديه في أوضاع شتى، وعندما شاءوا خدمة ركاب الطائرات جاءوا بفتاة تحسن التلطف في تقديم الطعام، وعندما أرادوا مزيداً من الإقبال على شراء السلع جاءوا بامرأة تجلس إلى الخزينة وتقبض النقود، وعندما يريد مدير عظيم أن يبرز سطوه وأناقته يجيء بامرأة تكون "سكرتيرة" لمكتبه... الخ. وقال لي بعض من يعرفون أوروبا: إن هناك دوراً للبغاء توضع النساء فيها وراء زجاج "الفتارين"، لكنى تنظر الذئاب الجائعة، ثم تختر ما يعجبها. وقد قلت يوماً: إننى لا أظن البشرية عرفت عصراً أمكن فيه السطو على المرأة؛ واستباحتها ظاهراً وباطناً؛ كهذا العصر الذى نحيا فيه! فهل هذا هو تحرير المرأة؟؟ إن المسافة شاسعة بين ابتذال المرأة كما يريد البعض، وبين ضمان حقوقها الإنسانية التي كفلها الوحى، وضمن بها البعض. إن ما يقع الآن في الغرب - ونقلده في الشرق - هو فيضان مشاعر مسحورة وأهواء حامحة؛ تريد تطويق المرأة لمبادل سيئة، وليس من وراء هذا احترام لدين، أو رغبة في إنصاف النساء، وصون إنسانيتهن... والذى يدعون إلى الأسى أن بعض المتدينين عندنا لا يفهمون من تحرير المرأة إلا هذه الصورة التي ننكرها ولعن أصحابها، وقد تكون رد فعل لحبسها

الطويل في الظلام، وعجزها عن الأخذ لنفسها، وقدرة بعض الرجال الأشرار على دفعها إلى الهاوية، وفي هذا يقول الأستاذ أنيس منصور: "ما زالت المرأة تكشف عن مفاتنها، وتتعرى؛ حتى بلغت أقصى درجات الفساد والانحلال.. وإذا تعرت المرأة فلن الرجل أراد، وإذا انحرفت فلن الرجل دفعها إلى ذلك، ولا بد أن الرجل قد تردى إلى ما هو أحط وأحقر حتى بلغ هذا الدرك الأسفل". إن الإسلام نسق آخر في الفكر والسلوك بعيد عن هذا الشطط، أساسه أن النساء شقائق الرجال، وأن بينهن وبين الرجال حقوقاً متبادلة؛ وكرامات متساوية "لا أضيع عمل منكم من ذكر أو أنثى بعضاكم من بعض". "من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزيئهم أجراً لهم بأحسن ما كانوا يعملون". وعلى هذا الأساس طار المجتمع الانساني إلى أهدافه العليا بجناحين من الذكورة والأنوثة، ووسع

المسجد الجنسيين معا يطلبان العبادة والمعرفة. المصيبة أن بعض المتدينين دون مستوى الفهم لطبيعة المجتمع الإنساني؛ ولوظيفة المجتمع الإسلامي، وقد رفع عقيرته في الأيام الأخيرة من يقول: لا عمل للمرأة إلا أن تضع الأولاد.. وعندما تكون المرأة بقرة للإنجاب فقط فلا بد أن يكون رحلها ثورا ؛ ولابد أن تنحدر الأمة كلها إلى أن تكون حديقة حيوانات... هل الإسلام يقدم رسالته إلى العالمين بمجتمع من هذا النوع الهابط..؟ إننا نرفض المجتمع المنحل، ونرفض كذلك المجتمع المختل ؛ نرفض أن تكون المرأة دابة للنسل، وتنتهي رسالتها في الدنيا إلى هذه الغاية المهينة... .

المرأة تتعلم وتبعد وتتجاهد، ولها الحق في أن تدرس، وتطبب وتتاجر، وتقوم بأعمال شتى تتناسب بداعها مع طبيعتها الأنثوية، وعملها الأول والأهم هو أن تكون ربة بيت وحاضنة أسرة. وهذا العمل يتطلب ثروة من الأدب والعلم لا حصر لها، وإنما إن المرأة الجھول لن تنسى إلا ذرية أسوأ... أكتب هذا بعد ما جاء في خطاب ينكر صاحبه على اعتراض على كلمة وكيل جبهة الإنقاذ بالجزائر، عندما صرخ بأن عمل المرأة في الإسلام أن تلد الرجال... إن المرأة في صدر الإسلام عندما آمنت بالله ورسوله أسهمت بكل قواها المادية والأدبية في نصرة الدين وإعلاء رايته... بدءاً من قعر البيت إلى طلب الجهاد في البحر على ظهر الأسطول الإسلامي في نطاق محكم من تعاليم الإسلام المؤفرة للعفاف والطهر... قال الأستاذ عبد الحليم أبو شقة في موسوعته عن تحرير المرأة في عصر الرسالة، وهي من أرحب وأنفس ما كتب في هذا الموضوع: "وياليتهم ستروا وجهها فقط ولم يحجبوها عن المسجد، وهذا على رغم قول الرسول عليه الصلاة والسلام لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وعلى رغم حضور صحابيات كريمات صلاة الفريضة؛ وصلاة التراويح؛ وصلاة الكسوف؛ وصلاة الجنائز في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم. وياليتهم ستروا وجهها ولم يحجبوها عن الاحتفال بالعيد، وهذا على رغم الحديث الشريف: أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن نخرج العواتق وذوات الخدور... ليشهدن الخير ودعوة المسلمين" وياليتهم ستروا وجهها ولم يحجبوها عن المحاضرات والندوات؛ وهذا على رغم الحديث الشريف: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه؛ تعلمنا مما علمك الله، فقال: اجتمعن في يوم كذا وكذا، في مكان كذا وكذا! وياليتهم ستروا وجهها ولم يحجبوها عن الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر؛ وهذا على رغم قول أم الدرداء لعبد الملك بن مروان: لعنت خادمك؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يكون اللعنون شفاء ولا شهداء يوم القيمة ` ! وياليتهم ستروا وجهها ولم يحبوها عن العمل لكسب عيشها عند الحاجة، وهذا على رغم قول الرسول صلى الله عليه وسلم للمرأة في فترة العدة : ` جد نخلك فإنك عسى أن تصدقى أو تفعلى معروفا ` . وياليتهم ستروا وجهها ولم يحبوها عن الإسهام في الجهاد ؛ بتضميده الجرحى وسقى العطشى، ثم بالقتال يوم تدعوا الحاجة، وهذا على رغم ما هو معروف من إسهام الصحابيات في عدة غزوات. وياليتهم ستروا وجهها ولم يحبوها عن النشاط الاجتماعي والسياسي، وهذا على رغم ما هو ثابت من أن أم شريك كانت تفتح بيتها للضيوف ؛ ومن أن بعض النساء قد شهدن بيعة العقبة قبل الهجرة ؛ كما بايع كثيراً منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة، وعلى رغم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ` قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء ` وياليتهم ستروا وجهها عن الناس جميعاً ولم يحبوها عن جاء يخطبها؛ وذلك على رغم قول الرسول صلى الله عليه وسلم للخاطب: ` ... فاذهب فانظر إليها ` وياليتهم ستروا وجهها ولم يحبوها وصف مظهرها الخارجي، وكأنه هو الآخر عورة ينبغي ستره؛ مخافة أن يفتن الرجال بذكرة، رغم ما ورد في السنة: ` سفاء الخدين!، ` بيضاء ` ، ! أقبلت امرأة من خثعم وضيئه!، ` ووقدت في سهم دحية جارية جميلة ` وياليتهم ستروا وجهها ولم يحبوها أخبارها، وكان أخبارها عورة كوجهها فينبغي سترها، وذلك رغم ورود أخبار النساء في القرآن والسنة، ففي القرآن أخبار امرأة العزيز وصوابتها، وفي السنة كثير من أخبار أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك أخبار عدد ليس بالقليل من الصحابيات؛ كخبر أم سليم حين تجملت وتهيأت لزوجها يوم وفاتها، وخبر أسماء بنت أبي بكر وحسن حيلتها مراعاة منها لغيره زوجها؛ وخبر أسماء بنت عميس وشجاعتها في

مواجهة عمر بن الخطاب. وبالتيهم ستروا وجهها ولم يحجبوا اسمها؛ مخافة أن يفوح من ذكره ريح الجنس؛ وهذا على رغم قوله تعالى: "ومريم ابنة عمران" وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **دخلت على عائشة و قلت لحفصة و هذه صفيه**. إن الحجاب الذي يعنون؛ وبين الإسلام بعد المشرقيين؛ وإن تحديد الموقف الإسلامي من قضايا المرأة - كما شاءه الله تعالى - يوصد أبواب الشبه التي يلتج منها المنصرون... وينفذ أمتنا من عواقب الإفراط والتفرط.

عندما يكون الدين انتماء مجرداً الرؤى والوعود التي ورثها اليهود في كتبهم الدينية؛ كانت الأساس الأول في انبعاثهم لإقامة دولتهم؛ وإعطائهما اللقب الأثير عندهم: لقب إسرائيل!. هذا النداء الديني هو الذي جمع بين صنوف متفاوتة الأخلاق والمعارف؛ والمناسب والألوان، فانصهرت في بوقته الفروق الكثيرة بين يهود الغلاشا والأمريكانيين والأستراليين والبولنديين.. الخ باسم الدين تلقي أولئك جميعاً على أنقاضنا نحن الذين اتخذنا ديننا لهوا ولعباً، ولم نعرف قيمة الأرضي الواسعة التي ورثناها؛ والملك العريض الذي فرطنا فيه..! وينضم إلى اليهود في تقديس الرؤى والوعود الموحية بإقامة إسرائيل جم غفير من النصارى البروتستانت؛ الذين يرون في العهد القديم أساساً لمذهبهم. وقد ذكرنا في مقال لنا ما كتبه "وايزمان" أول رئيس لجمهورية إسرائيل؛ من أن لورد "بالفور" إنما أعطى وعده المشئوم بإقامة الوطن اليهودي؛ لأنه رجل متدين؛ دفعته تقواه إلى فعل ما فعل ! فهو يتقرب به إلى الله ! ثم انضمت مذاهب أخرى إلى الكنيسة الإنجيلية؛ بهذا الدافع، وهم - وإن كرهوا اليهود، فكرههم أشد للعرب الذين هم دماغ الإسلام وقلبه، فليتفق الجميع على مناصرة إسرائيل ! لكن ما هو اللون الديني الذي يصبح إسرائيل؟ وما مظاهر البر والتقوى التي تقوم عليها الدولة الجديدة؟ ذكر الأستاذ نجيب فخرى عدة نقول تصور الفكر اليهودي بدقة، قال: كتب الحاخام كاهانا في مؤلفه ` شوك في عينيك ` - والخطاب للقارئ اليهودي - إن وجود العرب في أرض إسرائيل يعتبر تدنيساً لاسم رب، كما أن رفضهم للسيادة اليهودية يعتبر رضا

لسيادة إله إسرائيل في مملكته . كأن الرب والشعب شيء واحد . ومن ثم فطرد العرب من هذه الأرض يفوق الأمور السياسية العادلة، لأنه واجب دينى؟ حتى لا يتذمّس اسم الله !!

قال كاهانا: ولا ينبغي أن تخاف من رد فعل الكفار، إذا قمنا بطرد أولئك العرب، بل يجب الخوف من الله؛ إذ لم ننفذ وصاياتنا الكوارث. والحاخام أفتتير يرى العرب الأوائل الذين سكنوا الأرض المقدسة لصوصاً، وهذا الوصف يرثه عنهم أبناءهم العرب المعاصرة، وعليهم ترك هذه الأرض، بل عليهم دفع الإيجار عن القرون التي سكنوا فيها دوراً ليست لهم ! أما الحاخام والدبرج فيرى أن الشريعة اليهودية عندما تطبق فلن يبقى في الأرض المقدسة إلا اليهود. ويرى الحاخام هيس أن الذين يحاربون شعب الله يستحقون الإبادة؛ أيًا كانت أعراضهم. ويفتى الحاخام أربيل في عدة مقالات له بأن قتل غير اليهود لا يعتبر جريمة، فإن حق الحياة مصون لليهود وحدهم. قد يقول من يطالع هذه الأقوال: إنها نص حقول ملائكة لنفر من الكهنة الغلاة، وأغلب الحاخامات لا يوثق بأرائهم، ولا ينبغي أن يؤخذ بها اليهود أجمعون! قد نميل إلى تصديق هذا الاعتراض، لو لا أن الأحزاب الدينية التي تحكم الدولة اليهودية الآن؛ من أتباع أولئك الحاخامات المسعورة؛ بل إن الأحزاب المدنية نفسها لا تختلف عن شقيقتها إلا في العنوان الظاهر، أما المبدأ الثابت المشترك فهو ما نقله القرآن الكريم عنهم "ليس علينا في الأميين سبيل"

والحق أن اليهود لا يضمرون لغيرهم إلا حرب الابادة التي تهلك الزرع والضرع، ولا ترك خلفها وسما ولا رسمًا. ولأدع هذا الجانب إلى ذكر حقيقة أخرى جديرة بالشرح، إن التدين عندما يكون انتماء مجرداً وتعصباً أعمى تقطع صلته بالقلب الرقيق والمسلك الطهور؛ وبكل ما قرره الدين من زكاة وأدب، بل إن حدود الحلال والحرام تتلاشى؛ ولا يبقى إلا نداء الغرائز ونباح الشهوات المجنونة. الخمر تشرب بلا حدود، والزنا ينتشر دون نكير، والاستمتاع باليوم الحاضر أهم من انتظار اليوم الآخر، ويمكن أن تغلف الحضارة هذه المبادئ بخلاف من التقاليد المرنة؛ والقوانين الوضعية التي أملأها الهوى وحده: "بل اتبع الذين ظلموا أهواهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين" وهذا يفسر لنا ما وقع أخيراً في عيد ميلاد سنة 1991، فقد قررت الدول "العظمى" إنشاء فنادق عائمة ملأى ببغایا العالم، وفي طليعتهن مومسات إسرائيل، وشرعت ترسل أفواج الجنود إلى هذه الفنادق لترتّبوا من الحرام الميسور ! ورأى شعب الله المختار! إضافة إلى هذا المجون أن يستقدم العساكر العطشى إلى الأرض المقدسة؛ لتسبيح ما شاءت، وقد قرأت الصحف أن زورقاً كان يحمل الجنود العائدين بعد إشباع نهمتهم طفت عليه الأمواج الهائجة؛ فأغرقت عشرين جندياً من ركابه كانوا سكارى تائهين من كرة ما كرعوا من الآثام في مدينة حيفا!! أكان العرب من أتباع محمد، لو سادوا حيفاً، يستحلون هذه الجرائم؛ أو يرضون تلك المساخر؟ لكن كاهاناً الذي يرى وجود العربي شوكة في عينيه؛ لا يرى أى قذى عندما يرى الفاحشة والمنكر هنا وهناك. والغريب أن الشيوعيين العرب - سود الله وجوههم - يلتقيون مع بني إسرائيل في هذه الساحة الدنسة، وأخر من سمعت كلامه في هذا المجال شوير فلسطيني قام للأسف يهاجم علماء الدين، وينكر علاقة الإسلام بقضية فلسطين ! إننا نؤمن بأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، ونؤمن بأن الإسلام هو الدين الخاتم، ونؤمن بأن المهزائم التي لحقت بالعرب والمسلمين لم تغير عندهم حقيقة الفضيلة والرذيلة؛ والحلال والحرام، نعم إننا - على عفن الزمان الذي بنا - ما نزال نحرم الحرام ونحلّ الحلّال، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ! ومن ثم فإن صلاحيات اليهود للانتساب إلى الله انتهت، والشعب الغليظ الرقبة لا يزال يفترى على الله الكذب، ويبتعد عن وصاياه؛ حتى التي بقيت لها عنده آثار. والسؤال الأخير: متى يعرف المسلمون دينهم ويدخلون فيه أفواجاً؟ لن تحل لنا

مشكلة إلا بعد الرد القاطع كل هذا السؤال. اعترضنى أحد الناس قائلاً: لاحظنا أنك تترخص كثيراً في أحكامك وفتاويك، وتميل إلى التيسير والتساهل، وقد تأدى بك هذا المسلك إلى هجر العزائم وهي أصل الدين، وإلى ترويج أحاديث ضعيفة وأقوال ينكرها جمهور العلماء. وظهر ذلك جلياً في موقفك من قضايا المرأة، فقد أنكرت أن صوتها ووجهها عورة، وعلا صوتك أخيراً تطلب لها حق قيادة السيارات في المجتمعات التي تضرر المرأة فيها للالتحام بالرجل والاختلاط به!! ومن قبل طلبت قبول شهادتها في كل شيء ولم تتق الله في جرها إلى الميادين التي مهدتها لها الحضارة الحديثة، وهي ميادين يشهد كل ذي لب بما حفلت به من مآسٍ ومبازل..! قلت لمحدثى: سمعت اتهاماتك لي، ولم أفاجأ بها، ولست فوق التهم! وكل ما أرجوه أن تكون أنت صادقاً مع الله؛ تتبع الحق إذا استبان لك، ولا تنخرط مع أولئك الذين يتلمسون للبراء العيب! إنني فيما أكتبه وأدرسه أجتهد في اتباع رسولنا الكريم الذي قال:

"بعثت بالحنيفية السمحنة" وقال: "لقد تركتم على مثل البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك". لست منحرفا عن الصراط المستقيم؛ ولا مائلا مع الهوى إلى أية وجهة، ولكنني أتفرس في مواريثنا كلها، فما كان وحيا تبعته دون تردد! وما كان قوله لإنسان وزنته بما أعرف من كتاب وسنة، فإما رفضته وإما أمضيتها. إنني وجدت المسلمين متخلفين تخلفا شائنا في كل فج، فلما بحثت عن العلة الدفينة وجدت أهواء مشهورة، وحقائق محجورة، فآلية أن أحمو الأهواء وأنصر الحقائق. ولنبحث في قضية الإسلام مع المرأة! هل حكم عليها بالسجن؟ فلا تخرج إلى عمل أو صلاة بعيدة عن التبرج والإثارة! هل حكم عليها بالجهل فلا تدخل مدرسة ولا جامعة؟ هل اتهم عقلها بالخبال فلا تقبل لها شهادة في دماء ولا أعراض؟ هل حكم عليها بالإهمال والتأخير فلا تلبي أى عمل؟ وتعد مع السفهاء والصبية ولو أحرزت أعلى الدرجات العلمية؟ لقد هوت مطارات الاستعمار العالمي على بلادنا ونحن أحجأ الناس بديينا، كانت النساء صفراء في شئون الحياة الجادة؛ علمية كانت أو أدبية أو مادية، كان عدد من المتحدثين في الدين يهرون بما لا يعرفون، وينسبون إلى الإسلام أحكاماً ما أنزل الله بها من سلطان. أما وقد طالت ألسنتهم في أعراض العلماء الصادقين فنحن مضطرون إلى كشف الينابيع التي استقوا منها جهالتهم! إن أغلب هؤلاء يقلد الضالين من أهل الكتاب القدامي، ويتبني الأفكار الكنائسية التي شاعت بينهم عن تحصير المرأة وإهانتها واتهامها. وللينظر القراء معى إلى ما روى عن قديسين كثيرين في وصف المرأة، والحكم عليها بكل نقيصة، ودحرجتها اجتماعيا حتى لا تبلغ أى مكانة، ثم ليسأل نفسه: أليس هذا الكلام هو الأصل الذي تأثر به بعض رجالنا؟ جاء في كتاب: تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة، الذي ألفه اللواء المهندس أحمد عبد الوهاب، تحت عنوان: اغتيال شخصية المرأة: لقد حرص آباء الكنيسة على توكيده أن المرأة مصدر الخطيئة والشر في هذا العالم،

ومن ثم يجب قهرها إلى أقصى حد، واستهلاكها نفسيا تحت وطأة الشعور بالخزي والعار من طبيعتها وكيانها البشري. ولقد اغتنموا كل فرصة تتعلق بالمرأة لبث روح الإحباط فيها، ولو كانت تتعلق بزى ترتديه. فقد كتب "ترتليان" في القرن الثالث رسالة تعالج زى المرأة، صدرها بهذا النداء إلى: "أفضل المحبوبات أخواته فى الإيمان! ثم ما لبث أن انزلق فيها من المحبة والاحترام إلى هجوم مذهل إذ يقول: إذا وجد إيمان على الأرض عظيم مثل ما نتوقع أن ننعم به فى السماء، فما كان لأى واحدة منكن أن تشهى زيا كثير البهجة، ولا أقول زيا لافتا للنظر. لقد كان حريا بها أن تخرج فى زى حقير، وتسير مثل حواء ترثى لحالها، نادمة على ما كان منها، حتى يكون زيها الذى يتسم بالحزن مكفرا عما ورثته عن حواء من عار، وأقصد بذلك الخطيئة الأولى، ثم الخزي من الهلاك الأبدى للإنسانية الذى يرتبط بوجودها.

فلقد قال رب للمرأة: تكتيرا أكثر أتعاب حبك بالوجع تلدين أولادا. وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك "تكوين 3:6". ألسنت تعلمون أن كل واحدة منكن هي حواء؟ إن قضاء الله على جنسك بالعقوبة موجود في هذا العصر، وبالتالي فإن الشعور بالإثم يجب أن يكون موجودا أيضا. أنتن المدخل الذي يلجه الشيطان، فأنتن باكوره من ذاق الشجرة المحرمة، أنتن أول من تمرد على القانون الإلهي، أنتن تلك المرأة التي أقنعته؛ بالأكل من الشجرة؛ إذ لم يكن لدى الشيطان القدر الكافى من الجسارة لكي يهاجم آدم. لقد دمرتني بمثل هذه السهولة الرجل الذي هو صورة الله!! وبسبب استحقاقك للعقوبة - التي هي الموت - كان على ابن الله أن يموت أيضا.. إلى آخر ما قال من ترهات تشرح رأى الكنيسة في وظيفة المرأة.

وفلسفة الكنيسة أن الاتصال بالمرأة نكاحا أو سفاحا ليس من معالم التقوى! فالبعد عنها غنية، وهي مصيدة الإثم، وباب الفتنة، والواجب احتباسها فلا تخرج إلا في أسوأ لباس، ومع انتظار كل رذيلة منها! وهذا الموقف القاسى الجھول هو الذي أنكره نبى الإسلام عندما قال: "حرب إلى من دنياكم النساء والطيب، وقرة عينى في الصلاة" إنه لم يكن يصف واقعا غريزا، بل كان يقرر موقفا دينيا؛ هو أحد العناصر الأولى للحنيفية السمححة التي بعث بها. فالمرأة في الإسلام كالزهرة العطرة! وهي تقترب بالطيب، وسراء الحياة، وليس شأنها - كما يرى القديسون الجھلة في النصارى، وكما يرى مقلدوهم في عصرنا - أن تهان وتزدرى. وقد

كفرت الحضارة الحديثة بتعاليم المسيحية الأولى؛ واعتبار حواء مسؤولة عن شقاء آدم ثم وصف كل امرأة بأنها حواء، ولكن هذه الحضارة شردت عن الصراط المستقيم، وجعلت المرأة والرجل سواء في تحليل المحرمات. والسبب أن المسلمين المعاصرین عجزوا عن تقديم نموذج إسلامي جيد لحقوق المرأة وأسلوب معاملتها. وماذا يقول أهل الأرض عن الإسلام إذا سمعوا أنه يحرم على المرأة مزاولة أساسيات الحياة؟ إن الفقهاء الأوائل لم يحرموا على المرأة قيادة جمل أو حمار، حتى جاء في هذه الأيام النكبات من يحرم على المرأة أبسط حقوقها الإنسانية!! أقترح على هؤلاء الفقهاء البائسين أن يبحثوا لهم عن عمل آخر غير الكلام في الإسلام.

خاتمة نحن الآن في القرن الخامس عشر من تاريخ الإسلام، وفي نهايات القرن العشرين من تاريخ النصرانية. لقد اشتعلت حروب كثيرة بين الدينين كان يمكن ألا تقع، وعند التحقيق ينكشف أننا لسنا المسؤولين عنها! ثم واجه العالم كله نهضة علمية ناجحة غيرت وجه الأرض، وتطلع إليها كثير من الناس، فقادت الحياة فلسفات ومذاهب واهية الصلة باللوحي سيئة الحكم عليه..! لقد أفلت الزمام من أيدي المتدينين عموما! أما يكون ذلك دافعا إلى مراجعة المواقف السابقة، وتحفييف العداوات المتوارثة؟ يبدو أن ذلك صعب، ويبدو أن الطمع في دحرنا شديد!! إن الحضارة الحديثة علمانية الصبغة، وهي تعبد اليوم الحاضر، وتنسى اليوم الآخر، والدين في الغرب يذكر في أعياد الميلاد، وفي أيام الآحاد، ويختبر اجتراراً الصعائن التاريخية بينه وبين الإسلام. وأشهد أن كهنة النصرانية بعد هزيمتهم في معركتهم الخاسرة بين العلم والدين لم يضيعوا أوقاتهم سدى بل سرعان ما أصلحوا شأنهم، وعرضوا أنفسهم على المنتصرين يخدمون مآربهم في الغارة على القارتين القديمتين! ولماذا لا يقبلون مبشرين بين يدي الاستعمار الجديد؟ إنهم يمهدون لأطماعه؛ ويزينون وسائله وغاياته؛ فمرحبا بهم!! وكان المسلمون في كبوة تاريخية هائلة عندما بوغتوا بالزحف الصليبي الجديد، على أنهم سرعان ما استفاقوا لاسيما والضربات التي تکال لهم عنيفة.. والخسائر متتابعة.. إنهم كانوا يقرءون في كتابهم "...ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا...." ، ويقرءون "ولن ترضي عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم... " وهماهم أولاء يقعون بين شقي الرحى، فالوثنيون الهنادك يريدون قتلهم، واليهود قرروا إقامة إسرائيل الكبرى بين الفرات والنيل، والكنائس الغربية اصطاحت على تنصير

الأطراف والقلب، أو القلب والأطراف، لا يهم بأيهمما تبدأ، فلتكن الهجمة الشرسة على الاثنين معا..!! إنه موقف عصيب، بيد أنه ليس بجديد في تاريخنا المديد، وسنخرج من هذه الورطة وافرين ظافرين إن شاء الله. ذلك أننا نمثل الحق! توحيدنا لله لا تشويه شأنبه! ووحيه لدينا لم ينقص منه حرف !، وعملنا له، إن اضطرب في قرون مضت فقد بدأ يستقيم ويلزم الطريق. إن الرياح في بلادنا لا تزال تحمل أصوات الدعاة وهم يصيرون: الله أكبر، ولا تزال الأرض تشارك السماء عندنا في تمجيد الله وتقديره وتزييه: "أَفَغَيْرُ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يَرْجِعُونَ" والدين لا يكون من الأرض بل ينزل من السماء، ولا مكان فيه لأهواء الناس، لأن الأمر كله لله، وقد رأيت أيها القارئ ماذا صنع أهل الكتاب بالكتاب، وكيف حرفوا الكلم عن موضعه، وكيف زادوا ونقصوا ! إن عقائد كثيرة صنعتها مؤتمرات بشرية، بل نظرات فردية، ولا تزال للقصة ذيول حتى يوم الناس هذا.

يقول محرر مجلة الأزهر في عدد ذى القعدة سنة 1411هـ: "نسوق هذه النصوص من مصادر أهل الكتاب الخاصة ببابوية روما" ليس لمناقشتها، أو لحكم عليها، فليس ذلك من حقنا، إنما نسوقها لنبين لفريق من كتابنا المسلمين اختلاف مصدر التشريع، ثم نمضي، وفي ذلك البلاغ، مهما رمى علماء المسلمين بالجمود.

تقرر الكنيسة البابوية الكاثوليكية:

أن الكتب المقدسة لم تذكر كل شيء، وبناء على ذلك فـ "بابا الفاتيكان" نائب المسيح في الأرض، وهو معصوم من الخطأ في أحکامه الدينية، وكل ما يشرعه في جانب الإيمان، وما يحدده في العقيدة يعتبر قضايا يقينية غير قابلة للتحوير أو التبديل، كما أنها ليست بحاجة إلى موافقة الكنيسة عليها، وإذا تجاسر أحد على تحطئة تحديدها يكون محروما، وله أيضاً أن ينشر تعليماً إيمانياً ويحتم حفظه، لأن فحص الآيات أمر خاص به منذ أجيال عديدة.  
وفي إطار هذه النصوص: أذاع الفاتيكان عام 47، 1948 م أن السيدة مريم البتوح صعدت -  
بدورها - إلى السماء، وصارت.

وأذكر أن فريقاً من القساوسة الكاثوليك بجنوب إفريقيا احتجوا على هذا القرار، فهددوا بالحرمان، فلاذوا بالصمت.

كذلك بعد هذا القرار بستينين أو ثلاث على الأكثر، قام المنصرون بدعوتهم بين "الإسكيمو" فلما قرأ هؤلاء في الأنجليل المتداولة: "خربنا كفافنا" امتنعوا عن الطعام؛ وتتساقطوا إعياء، فسحبت هذه الأنجليل، وجئ لهم بطبعة أحدث تحمل عبارة ذات مدلول أشمل من "الخبز" حتى لا يموتوا جوعاً.

نشرت هذا الخبر "صحيفة النداء" المصرية التي صدرت في نهايات النصف الأول لهذا القرن، وذكر المحرر هذا الموضوع تحت عنوان "شجاعة أدبية" .. كذا!!

من هذا يتبيّن للقارئ أن هذه الكنيسة تشرع ما تريد، فكأنها إنجيل مفتوح يضيف إليه الباباوات ما يرون، ومن آيات ذلك تشريعاتها المختلفة في الصوم، والانقطاع.. الخ ولا عليها ألا تعتمد على الأنجليل، لأنها ترى أن الأنجليل؛ بل الكتب المقدسة؛ لم تذكر كل شيء. ثم بعد

هذه النصوص، وشيء من تطبيقاتها، ننظر في فروق عده، لنتبيّن مصدر التشريع في الإسلام، فإنه إذا رأت الكنيسة أن "الكتب المقدسة لم تذكر كل شيء" نقول - في القرآن الكريم: "ما فرطنا في الكتاب من شيء" وإذا رأت أن رأس الكنيسة معصوم قلنا: ليس في الإسلام عصمة لغير الأنبياء، وإذا قررت أن لرأس الكنيسة أن يشرع في جانب الإيمان والعقيدة.. إلخ قلنا: ليس ذلك لأحد في الإسلام، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: "ليس لك من الأمر شيء". وإذا كان لرأس الكنيسة أن يضع آية، أو يعمم مضمونها. قلنا: في القرآن الكريم: "لا تبدل لكلمات الله" ، "لا مبدل لكلماته" فالقرآن الكريم لم يفرط في شيء، ولا تبدل لكلماته، ولا عصمة بعد أنبيائه، وقد تضمنت آياته كل شيء، ثم الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين ويوضح، ويعلم كيف نمضي. فليثبت المسلمون أمام الغزو الجديد بشعبه الثقافية والسياسية والعسكرية إنهم منتصرون ولو اجتمع عليهم "من بأقطارها" إذا هم وحدوا كلمتهم على كلمة التوحيد. والحملة اليوم شديدة لتهويد القدس، ولتحويل مساجد بالهند إلى معابد وثنية، ولتوسيع الرقعة التي انتزعها اليهود من أرضنا، ولمساعدة العلمانيين على إقصاء الإسلام ومحو شاراته، ولشد أزر المنصرين وهم يمكرون بالضعف والمرضى.

إن الحملة باللغة المكر واسعة الفتوك، وهي في الوقت الذي تزعم فيه تجريد الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل تضاعف تسليح إسرائيل، وتضيق الخناق على العرب. ولست أخاف عدو - فهو أمامي مكشوف - وأنا أجدر منه بنصر الله، إن صدقت ربى، وسوبرت صفي، وأخلصت نبتي، ومضيت في الطريق إما إلى الجنة، وإما إلى السيادة والقيادة والفوز المبين.  
"قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون"